

الأخلاق في الفكر الشرقي القديم

كونفوشيوس أنموذجا

مذكرة مكسلة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

أرفيس علي

اعداد الطالبة:

شنفاوي عيشة

الجنة (الجامعة) ٢٠١٨/٢٠١٩

## شكر وتقدير

أقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل : أرفيس علي الذي  
تفضل بالإشراف على هذه المذكرة ، وعلى توجيهاته السديدة في  
متابعته لإنجازها

كما أتقدم بالشكر إلى التوأمين خديجة وآية وإلى فتيحة وإلى  
صديقتي هدى طيبي وحفيظة عثمان اللواتي تقاسموا معي هموم  
البحث ، ولكل من ساعدني من قريب أو بعيد .

## إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين .  
وإلى كل أفراد عائلتي محمد ، محفوظ ، أحمد ، مسعودة ، أمهاني ،  
فتيحة ، آسيا ، خديجة ، آية .  
وإلى رفيقتي ابتسام بن رية وأمال مرزوقي

شغلت مشكلة الأخلاق حيزا كبيرا من تفكير الإنسان، باعتبارها منظومة قيم ومبادئ يضعها الإنسان لنفسه ليلتزم بها ويطبقها في معاملته مع الآخرين و لا يمكنه الاستغناء عنها في حياته ، وباكتسابه للفضائل والقيم العليا يتجنب الوقوع في الرذائل ، فهي التي تمنح الإنسان إنسانيته من خلال اتباعه للضوابط الأخلاقية و تكبح شهواته ، بحيث تنقله من حياة الحاجات إلى طريق القيم ، وتعتبر الأخلاق وسيلة تضبط المجتمعات وتنظمها ، كما تساعد على تطورها ورفيها ، وموضوع الأخلاق ليس بالموضوع الجديد ، وقد خصص له جميع الفلاسفة والمفكرين سواء الشرقيين أو الغربيين حيزا في كتاباتهم .

ونظر لأهمية موضوع الأخلاق في حياة الفرد وارتباطه بسلوكه يمكن أن نطرح الإشكالية التالية :

كيف كانت طبيعة الفكر الأخلاقي لدى كونفوشيوس ؟ وما مدى تأثيره على المنظومة السياسية ؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية :

على أي أساس قامت المنظومة الأخلاقية لحضارات الفكر الشرقي القديم ؟

ماهي أهم القيم الأخلاقية التي تأسس عليها الفكر الكونفوشيوسي ؟ وهل للتربية دور في ترسيخ هذه القيم في المجتمع الصيني ؟

هل هناك ارتباط بين الأخلاق والسياسة ؟

وقد اعتمدت في الإجابة على هذه الاشكالية وتساؤلاتها الفرعية ، على المنهج التاريخي والمنهج التحليلي ، بالنسبة للمنهج التاريخي فهو يوضح تطور القيم الأخلاقية للحضارات الشرقية القديمة ، والمنهج التحليلي يمكنني من فهم نصوص الفكر الكونفوشيوسي.

ولمعالجة هذه الإشكالية اعتمدت على خطة مكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

جاء الفصل الأول بعنوان : الأخلاق في الفكر الشرقي القديم ، تم من خلاله الحديث عن ماهية الأخلاق وطبيعتها لدى حضارات الشرق القديم لكل من الحضارة الفارسية والحضارة الهندية

و الفصل الثاني خصصته للأخلاق في فكر كونفوشيوس ، انطلاقا من معرفة الأوضاع السياسية والاجتماعية للمجتمع الصيني التي من خلالها وضع كونفوشيوس منظومته الأخلاقية ، إضافة إلى أهمية التربية والتعليم فيها ، وأهم الفضائل الأخلاقية التي تميز بها فكره .

وفي الفصل الثالث والأخير المعنون بعلاقة الأخلاق بالسياسة في فكر كونفوشيوس ، أردت من خلاله الحديث عن ارتباط الأخلاق بالسياسة ، من خلال معرفة الحكومة الصالحة، وأخلاق الحاكم الذي يرأس هذه الحكومة ، وأخيرا الخاتمة تضمنت الاستنتاجات المتوصل إليها .

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع هو الميل الى المواضيع ذات الأبعاد الإنسانية، والحاجة لدراسة لمثل هذه البحوث الأخلاقية .

ولعل أهم الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث هو صعوبة الحصول على المصادر وقلّتها ، إضافة إلى صعوبة فهمها أثناء الحصول عليها .

### تمهيد :

الأخلاق أساس صلاح المجتمع وتطوره، فإذا بنيت على قواعد صحيحة ستكون خيرا وبذلك تصبح رابطا متينا له وإما أن تتطلق من قواعد خاطئة وتكون شرا عليه وبهذا تتفكك روابطه. إن ما يقيد هذه الأخلاق هو الدين الذي وضعه الخالق، فهو أساس المبادئ الأخلاقية من خلاله يكون صلاح الأمم ورفيها، ولعل هذا الدين قد برز في بلاد الشرق القديم، حيث عرفت الحضارات الشرقية ظهور عدة مذاهب فلسفية ما جعل دراستها معقدة، ولقد ساهم رجال الدين والحكماء في تحديد الأسس التي تبني عليها كل حضارة عقائدها، وأبرز هذه الحضارات : الحضارة الفارسية والحضارة الهندية .

### المبحث الأول : مفهوم الأخلاق

#### 1\_ الأخلاق لغة :

جاء في تعريف جميل صليبا: الأخلاق جمع ذُلُق وهو العادة والسجية، والطبع والمروءة والدين. فالذُلُق إما أن يكون فطريا لدى الإنسان ، أو أن يكون قد اكتسبه في حياته من خلال معاملته مع الآخرين .

وفي تعريف الجرجاني: "والذُلُق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وويّة فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة تسميت الهيئة ذُلُقاً حسناً أو إن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر الخلق سيئاً<sup>1</sup>." فالفرد لا يتكلف في اصدار أي فعل بل يكون عفويا في تصرفاته ، وبإمكانه أن يميز بين الخلق الحسن والسيء .

يظهر الذُلُق العظيم في قوله تعالى: **وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ " القلم 4**. وهو وصف لخلق النبي عليه الصلوة والسلام لأمه من مكارم خلقية عالية، وهو المثل الأعلى الذي تقتدي به البشرية.

#### 2\_ الأخلاق اصطلاحا :

وللأخلاق من الناحية الاصطلاحية العديد من التعريفات:

إذ تعرف بأنها " القواعد التي ينبغي أن يعيش عليها الإنسان لبلوغ إنسانيته في مثل أعلى يصبو إليه، فعلم الأخلاق علم معياريا يبحث في حياة الانسان الواقعية ويصف ما هو كائن بالفعل، بل هو علم يضع ما ينبغي أن يكون"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، (د ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982 ، ص49 .

<sup>2</sup> - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، (د ط) ، دار الفضيلة، القاهرة، (د ت)، ص89 .

<sup>3</sup> \_ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، (د ط)، دار قباء، القاهرة، 1998.

فالأخلاق توجه سلوك الإنسان من خلال وضع مبادئ لحياته الخلقية، وتبين ما يجب أن يلتزم به ليكون سلوكه صحيحاً وأفعاله خيرة بعيدة عن الشر. أو هي الحكم على أشكال السلوك ، فتحبذ موقفاً من المواقف وتستحسنه، وتذم موقفاً آخر وتستقبحه، تأمر بالأفعال الحسنة وتذم الأفعال السيئة.<sup>1</sup> الفخذُ لُق هو عادة الإرادة، أي أن تكون أفعال الفرد صادرة عنه بطريقة انفعالية دون تفكير أو روية.<sup>2</sup>

كما أن للأخلاق تعريف مرتبط بالحالة النفسية للفرد إذ يعرف بأنه " حالة نفسية تترجم بالأفعال ، أي أن للأخلاق جانبان : جانب نفسي باطني وجانب سلوكي ظاهري ، فالسجايا هي الطباع ، والسلوك هو الفعل المترجم لهذه الطباع ."<sup>3</sup> فالسلوك الإنساني إذاً هو فعل ظاهري للأخلاق ، يترجم الحالة الباطنية للإنسان ، فهناك أفعال حميدة يجب أن يتحلى بها الإنسان ، وأفعال قبيحة عليه تجنبها . أما فيما يتعلق بتعريف علم الأخلاق : فيعرف بأنه " العلم الذي يهتم بتوضيح معنى الخير والشر ، وما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاً ، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم "<sup>4</sup> . أو هو العلم الذي يحكم على سلوك الإنسان بالصواب أو الخطأ ، كما يبحث عن الكيفية التي تبعد الإنسان عن ما هو غير صالح وتستبدله بما هو صالح .<sup>5</sup> ، أو هو العلم الذي يضع أحكاماً قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح .<sup>6</sup>

<sup>1</sup> \_ عادل العوا ، القيمة الخلقية ، (د ط)، مطبعة جامعة دمشق، 1960، ص13.

<sup>2</sup> \_ محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، ط3، دار القلم، الكويت، 1983، ص31.

<sup>3</sup> - صباح قلامين ، محاضرات في فلسفة الأخلاق ، جامعة خميس مليانة ، عين الدفلى ، ماي 2015 ، ص10.

<sup>4</sup> - أحمد أمين، كتاب الأخلاق، ط3، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1931، ص2 .

<sup>5</sup> \_ ويليام ليلي ، مقدمة في علم الأخلاق ، ت : علي عبد المعطي محمد ، (د ط) ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2000 ، ص 26.

<sup>6</sup> - علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الأخلاق ، ج1 ، (د ط) ، دار السنينة ، (د ت) ، ص12.



## الفصل الأول : مفهوم الأخلاق في الفكر الشرقي القديم

---

وفلسفة الأخلاق تعنى بدراسة السلوك شرط أن يكون صادرا عن إدراك العقل له وعن حرية واختيار لكي يتدبر نتائجه أيا كانت .<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> \_مصطفى عبده ، فلسفة الأخلاق ، ط2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999 ، ص 34 .

### المبحث الثاني : الأخلاق في الفكر الفارسي

تعد إيران موطن الفرس القدامى أرضا للقاء الحضاري، بحكم موقعها الجغرافي ، الذي جعل أهلها يخضعون لتأثيرات فكرية متبادلة خاصة من جانب الهند والصين.<sup>1</sup> ولعل هذا الاحتكاك قد أثر في فكرهم وهكذا شغل الفكر الفارسي حيزا مهما في تاريخ الفكر الشرقي القديم وذلك لما له من مفاهيم مهمة في العقيدة الدينية، التي تعتبر الأساس في بناء منظومته الأخلاقية ومساهماتها في رقي الحضارة، حيث تميزت بلاد الفرس بالتنوع في عقائدها ولعل أهمها ما تميزت به الزرادشتية والمانوية، فلكل منهما منظومة عقائدية خاصة، سأتطرق لها فيما يلي :

#### 1\_ الأخلاق الزرادشتية :

يعتبر زرادشت\* نفسه نبيا من عند الإله الأعظم ، اختاره ليبلغ رسالته للناس ويدعوهم إلى دين أسمى من الدين الذياعتقوه ، وقال لهم أن الكهنة ورجال الدين يهتمون بالطقوس الدينية والمظاهر الخارجية للدين أكثر من اهتمامهم بجوهر الدين كما أن آلهتهم محبة للقرابين التي تقدم إليهم ، أما دينه الجديد الذي يدعو إليه فلا يقوم على شيء كهذا ، بل أساسه القلب والوجدان ويعتبر أن القلب المكسور والنفس التائبة ، ودموع الندم من قلب تائب هي أفضل ما يقدمه المؤمن إلى خالقه ، فموضوعه هو السلوك المستقيم الذي يكون باطنه أما خارجه فهو النية في الأعمال الطيبة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ مصطفى النشار ، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، ط1 ، دار قباء ، القاهرة ، 1997 ، ص 107 .

\*زرادشت : تعددت الروايات حول اسمه ومولده ، فهناك من روى أن ميلاده في الربع الأخير من ق 7 ق م أي حوالي 630 ق م ، وقتل في عمر 72 أو 77 عاما ، أسس الزرادشتية حوالي ق 7 أو 6 ق م ( محمد ظاهر ، الزرادشتية واليزيدية تظاهر أم تدابر ، ط1 ، دار الأوانل ، سوريا ، 2010 ، ص 28 ) .

<sup>2</sup> - أحمد الشنتاوي ، الحكماء الثلاث ، ( د ط ) ، دار المعارف ، مصر ، 1953 ، ص 21-22 .

فهو يعلم الناس إرادة جديدة يتخيرون بها للسير على الطريق التي اجتازها الناس عن غباوة من قبلهم ، يعلمهم أن يطمئؤوا إلى هذه الطريق فلا تنزلق أرجلهم عنها كما انزلت أرجل الأعداء المتهمين ، وما هؤلاء إلا من ابتدعو الأشياء السماوية واخترعوا قطرات الدماء المراغة لافتداء البشر. على أن هذه السموم التي أخذوا بلدتها ورهبتها لم يستخرجوها إلا من الجسد والأرض<sup>1</sup>. ففي اعتقاده أن الدين الذي سبق عصره لم يكن ديناً خالصاً وإنما كان ديناً ظاهرياً فقط ، فجاء بدينه الجديد هذا ليصلح المعتقدات السابقة وتكون عبادة الإله صادقة وتوبة إليه خالصة. وهذا الدين جاء لتصحيح الدين القديم ، من خلال كتابه المقدس الزند أستا \* ، يقر فيه بوحدة الخالق أهورا مازدا \* .

فالإله أهورا مازدا : "هو الإله الأوحد عند زرادشت ، وهو وحده لم يولد ولن يموت ، وهو علة العلة وليس له علة ، وهو المصدر الأول لجميع الموجودات ، وهو روح الأرواح لا يرى ولا يُنظر ، رغم وجوده في كل مكان . إنه يعلم الماضي والحاضر والمستقبل ، وهو وحده العالم بكل شيء ، يعلم الغيب ودخائل نفوس ولا يخفى عليه شيء من الأسرار وهو القادر على كل شيء ، رغم مناهضة الشيطان له ."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> -فر يدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ت : فليكس فارس ، ( د ط )، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص 23.

\* الزند أستا : أو الأبتاق ، وهو الكتاب المقدس لزرادشت ، وليس من المرجح أن يكون قد دون قبل ق 5م . لكن جزء من مادتهذا الكتاب يرجع لما قبل التاريخ بفترة طويلة ، وربما يكون قبل الحقبة الزرادشتية . حيث لحق به تخريب الزمن وما بقي منها هي ترنيمات ونصوص الطقوس الدينية وترنيمات أخرى ، وفي ق 7م تم تدوين عدد من كتب زرادشت للدفاع عن ديانة الخير ضد الدعاية المسيحية والإسلامية . (جفري بارندر ، المعتقدات الشعبية لدى الشعوب ، ت : إمام عبد الفتاح إمام ، ( د ط )، عالم المعرفة ، الكويت ، 1993 ، ص 92).

\* أهورا مازدا : (ارمزد) وهو إله الخير والنور والصلاح ومنه تتكون ثنائية زرادشت التي صدر عنها الكون وهو في صراع دائم ينتهي بغلبة إله الخير . (إبراهيم مدكور ، المعجم الفلسفي ، ( د ط ) ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1983 ، ص 27 .)

<sup>2</sup> - مصطفى النشار ، تاريخ الفلسفة من منظور شرقي ، ج 1 ، ( د ط ) ، دار قباء ، القاهرة ، 1998 ، ص 56-57 .

كما وجد زرادشت بين "الاله مازدا وبين الخير توحيدا جعلهما اسمين لمسمى واحد ، فسبق أفلاطون على هذا المزج الفلسفي والأخلاقي العظيم ، وبهذا أصبح الخير قلب الديانة الزرادشتية التي ينبض بحياتها . وقد أعلن أن الخير سيعم الكون كله عندما تسود الفضيلة وينهزم اله الشر أهريمان الذي هو العدو الأوحده لاهورا والذي هو دائم الحرب معه ."<sup>1</sup> وقد وصف زرادشت الإله اهورا مازدا بكل صفات الكمال ، فهو الواحد خالق جميع المخلوقات غير مرئي لا يشترك معه أحد في الخلق ، ليس له بداية ولا نهاية ، هو الذي أوجد الخلق ولم يخلقه أحد منزه من الصفات البشرية ، غير مرئي ، يعلم كل خفي ن فهو الحق والنور ، كما وجد زرادشت بينه وبين الخير .

وحين تأمل الإنسان للشروع التي حوله تساءل عن مصدرها فالإله لا يمكن أن يصدر الشر بل هو مصدر لكل خير ولا يمكن أن تكون من صنيعه ، وهنا نجد أن مصدر هذه الشرور يكون من صنيع الشيطان اهريمان\* . إذ آمن زرادشت بوحداية الإله اهورا مازدا رغم وجود قوتين متوازيتين ومتشابهتين في الخلق ، إلا أن هناك من أساء الفهم في أساس الاعتقاد بسبب فكرة الصراع الدائم بين قوتا النور والظلام ، الخير والشر ، ومن ثم الإيمان بالثنائية ، لكن غابت عنهم فكرة أن هاتين القوتين المتصارعتين تحت سيطرة الإله وإرادته و تنفيذ أوامره .<sup>2</sup> إذ تميز فكر زرادشت بوجود " نظامان إلهيان الخير والشر ، وهما دائما في صراع وكل منهما له العديد من الأعوان والملائكة"<sup>3</sup> ، فلكل إله أنصار تسانده ، فالله الخير له اتباع تساعد على نشر الفضيلة والمبادئ الخيرة ، أما إله الشر فاتباعه يساندوه على

<sup>1</sup> -محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، ( د ط ) ، مطبعة البيت الأخضر ، القاهرة ، 1938 ، ص 189 .

\* اهريمان : إله الشر والظلمة والفساد ، ( مراد وهبه ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 114 . )

<sup>2</sup> -الشفيع الماحي أحمد ، زرادشت والزرادشتية ، ( د ط ) ، قسم الدراسات الإسلامية ، جامعة الملك سعود ، 2001 ، ص 39 .

<sup>3</sup> -عبد الله مبلغ العبداني ، تأريخ الديانة الزرادشتية ، ت : عبد الستار قاسم كلهور ، ط 1 ، مؤسسة موكرياني ، 2011 ، ص 43 .

نشر الرذيلة والفساد ومحاربة الخير. إضافة إلى اهورا مازا هناك ملائكته الأبرار وهناك أجسام نورانية لا يرون ، هم الأخيار الخالدون لا يتحولون ، يسكنون السماء ، لهم وظائف متنوعة : فمنهم الذين يتوسطون بين الإله والناس ، وهم المكلفون بحمل الوحي لرسله ، ومنهم الكتبة الحافظون لأعمال العباد ، مهمتهم تسجيل الأعمال الحسنة والسيئة ، ومنهم من يتولى مراقبة المؤمن فإذا رآه مقبلاً على الطاعة حببها له وإذا أقبل عن معصية نهوه عنها ، ومنهم من أوكل لهم حفظ ورعاية مخلوقاته غير المكلفة كالحيوانات والنباتات .<sup>1</sup> فالملائكة مخلوقات من نور خلقهم الإله ليساعده في خلقه ، فهم وسيط بينه وبين العباد ، يهونهم عن المنكرات ويساعدهم على اتباع طريق الهدى . ولعل تقسيم الكائنات إلى طاهرة وذنسة والصراع بين الخير والشر ، وبين الجنة والنار ، بين الألوهية والإنسان ، هذا هو لب المذهب الديني والعقائدي الذي يعرضه الكتاب المقدس لدى الإيرانيين الزند افستا .<sup>2</sup>

إنتقوم العقيدة الزرادشتية على ثلاث مبادئ أساسية وهي :

**الفكر الحسن :** وهو التأمل في خلق السماوات والأرض قال تعالى : **{ وفي أنفسكم أفلا**

**تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون { (الذاريات 21 ، 22)**

**القول الحسن :** هو تبليغ الرسالة بالكلمة الطيبة . قال تعالى : **{ ادع إلى سبيل ربك**

**بالحكمة والموعظة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ظل عن سبيله وهو**

**أعلم بالمهتدين { (النحل 125) .**

**الفعل الحسن :** وهو التمسك بالفضائل والبعد عن الرذائل ، والأمر بالمعروف والنهي عن

**المنكر . قال تعالى : { كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن**

<sup>1</sup> - الشفيق الماحي أحمد ، زرادشت والزرادشتية، مرجع سابق ، ص 41.

<sup>2</sup> - محمد عبد الرحمان مرحبا ، مع الفلسفة اليونانية ، ط3 ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1988 ، ص 61.

المنكروءؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم من هم المؤمنون وأكثرهم  
الفاسقون {آل عمران 110}<sup>1</sup>.

فمن يتحلّى بهذه المبادئ الحسنة سيعيش حياة سعيدة ، ولعل هذه المبادئ هي الأساس الذي  
بُنِيَ عليه الدين الزرادشتي وفي مقابل هذه المبادئ نجد الفكر الفاسد ، والقول الفاسد ،  
والعمل الفاسد ، التي تجعل الفرد قريبا من الرذيلة .ومن هنا نشأ قانون أخلاقي يدور حول  
قاعدة وهيأى الطبيعة لا تكون خيرة إلا إذا منعت صاحبها من أن يفعل بغيره ما ليس خيرا  
له هو نفسه . " وتقول الابستاق إن على الإنسان واجبات ثلاث : " أن تجعل العدو صديقا ،  
والخبيث طيبا ، والجاهل عالما ."<sup>2</sup>

ولقد حدثت زرادشت أتباعه على أن يقاتلوا في سبيل الإله الحكيم وذلك باتباع الخصال  
الحميدة في طهارة الفكر والكلمة والعمل ، و النظافة والبعد عن كل ما هو دنس ، و الإحسان  
بالفعل والقلب الرفق بالحيوانات النافعة القيام بالأعمال النافعة ، مساعدة الذين لا يتيسر لهم  
تحصيل التعليم بتعليمهم ، فهذه الخصال وصفت بأنها سبيل الإله الواحد الحكيم<sup>3</sup>.

كما شغلت فكرة الحياة والموت ، والعقاب والثواب ذهن الإنسان ، ولعل زرادشت قد أشار إلى  
أن هناك حياة ثانية بعد الموت ، فالإنسان يعاقب أو يجازى على الأعمال التي قام بها في  
حياته ، فالعقاب والثواب الحقيقيين يكونان بعد الموت . فإذا ناصر قوى الخير ضد قوى الشر  
، سيكون مصيره الجنة ، وإذا كان عكس ذلك تعذب روحه في الجحيم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - محمد ظاهر ، الزرادشتية واليزيدية تظاهر أم تدابر ؟ ، مرجع سابق ، ص 33.

<sup>2</sup> - كول وايرلديورانت ، قصة الحضارة الشرق الأدنى ، ج 2 ، م 1 ، ت : محمد بدران ، دار الجيل ، بيروت ، ص 432.

<sup>3</sup> - جمشيد يوسف ، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة ، ط 1 ، منشورات زين ، بيروت ، لبنان ، 2012 ،  
ص 62 .

<sup>4</sup> - دون مؤلف ، زرادشت والديانة الزرادشتية ، المكتبة الإلكترونية الكوردية ، ( د ط ) ، ( د ت ) ، ص 64.

ولم ينظر زرادشت للإنسان نظرة سلبية، بل أعطاه إمكانية الفعل والإرادة في الاختيار فهو لديه القوة بواسطة الفعل ، في صراعه بين لله الخير ولله الشر في حياته اليومية ، وبالتالي فالعلاقة قائمة بيت التصور الفيزيقي والميتافيزيقي . في جدل صاعد من الأدنى الى الأعلى. فالإنسان إرادة حرة في الاختيار، تتمتع بكامل حقوقها والإنسان يقوم بفعل المعرفة بواسطة العقل من خلال مشاركته في قوى الحق، بواسطة التقوى ، فقد خلق الإله اهورا مزدا الإنسان ومنحه حريته في الاختيار بين الخير والشر، حيث إن كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته ستلقى نتائجها على عاتقه ويتحمل مسؤوليتها، فكل ما يفعله يحسب عليه، إما أن يفعل خيرا ويجازى عليه وإما أن يفعل شرا ويعاقب عليه و عند موت الإنسان ، " تترك نفسه ثلاث ليال تنتظر فيها الحكم تكابد نفس الإنسان الفاضلة من العقاب على الآثام القليلة التي اقترفها ، أما النفس الشريرة فتنزل إلى جهنم ". إذ أن الجنة والنار تتناسبان مع الفضيلة والإثم التي جمعها الإنسان في حياته كما أن هناك مكان تتساوى فيه الفضائل والذنوب وهو يسمى مكان المختلطين تعاني النفس منه الحر والقر.<sup>1</sup>

تميز المجتمع الزرادشتي كغيره من المجتمعات بالتقسيم الطبقي ، حيث قسم إلى طبقات اجتماعية لكل منها مكانتها حسب أهميتها ونفوذها في المجتمع :

**طبقة رجال الدين (بيشوايان) :** وهي أسمى طبقات المجتمع ومهمتها محاربة قوى الشر.

**طبقة المحاربين (ارتشاران):** تنحدر هذه الطبقة من الأسرة الحاكمة التي سيطرت على المناصب العليا في الدولة والجيش .

**طبقة الزراع (كشاورزان):** عمل أفرادها في الزراعة وتربية المواشي ، تساهم في تقوية صفوف قوى الخير ضد قوى الشر.

**طبقة الحرفيين (دستورزان)** كانت جزء من طبقة الزراع ثم تم تقسيمها ، فأصبح الصناع يقومون بجميع المهن .

<sup>1</sup> -جمشيد يوسفي ، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة ، مرجع سابق ، ص294،293

طبقة الكتاب (ديبران): انحدرت هذه الطبقة من طبقة المحاربين ، وهم كتاب الرسائل والسجلات .<sup>1</sup>

وقد حاول زرادشت من خلال دينه الجديد وبأفكاره العقائدية تنقية العقيدة الزرادشتية وهذا من خلال تقديمه للتأملات حول واحدية الإله وخيريته ، والابتعاد عن ألوهية الشر لأنها من الشيطان ، كما يرى أن هناك حياة أخرى يلقي فيها الإنسان ثوابه أو عقابه لكل الأفعال التي قام بها في حياته .

### 2\_ الأخلاق المانوية :

زعم ماني\* " أن العالم مصنوع من أصلين قديمين : أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزلوا ولن يزالوا، وأنكروا وجود شيء لا من أصل قديم ، وزعم أنهما لم يزلوا قوتين حساسين ، بصيرين ، ومع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان وفي الخير متحاذيان تحاذي الشخص والظل ."<sup>2</sup> فالنور هو إله الخير والظلام هو إله الشر، فهذان المبدآن متساويان في كل شيء ، إلا أن إله النور هو الذي يمنح الإنسان كل خير ومنفعة لولا يلحق به أي ضرر ، ولله الظلام مسؤول عن كل خراب وفساد في هذا الكون .فإله النور هو العظيم الأول ، " وهو يتجلى في خمسة أشياء بمنزلة الوسائط بين الخالق والخلق وبمثابة أقانيم خمسة وهي : اللحم والعلم والعقل والغيب والفتنة ، والعناصر الشريرة الخمسة قد كونت عوالم اله الظلمات ، وهي : الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة ."<sup>3</sup> فبعدها هاجم إله الظلمات إله النور (العظيم الأول) ، هذا ما جعله يخلق أول المخلوقات فدعا ( أم

<sup>1</sup> -دون مؤلف ، زرادشت والديانة الزرادشتية ،المكتبة الإلكترونية الكردية ، مرجع سابق ، ص 61-62 .

\*ماني : مهرطق فارسي من ق3 ، حاول دغم المسيحية والثنائية التقليدية في ديانة زرادشت القديمة ، والمانوية هي كل تصور فلسفي يقول بمبدأين أزليين كونيين ( الخير والشر ) ، ( أندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، ط2 ، م1 ، ت: خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، 2001 ، ص 764 ) .

<sup>2</sup> -محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ،ص202 .

<sup>3</sup> \_أرثر كريستس ، إيران في عهد الساسانيين ، ت : يحيى خشاب ، ( د ط ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ( د ت ) ، ص 173 .



الحياة) وهي بدورها دعت (الرجل القديم) وبهذا شكلوا الثالوث (الأم والأب والابن)، بعد هذا أنجب الرجل القديم خمسة أبناء وهم : النسيم والريح والنور والماء والنار. وبهذه العناصر نزل الرجل القديم ليحارب اله الظلمات ، وهذا الأخير تسليح بخمس عناصر. حينئذ اختلطت العناصر الخمسة النورانية بعناصر الظلمات الخمس ومن هنا نتجت صفات الطيبة والخبيث.<sup>1</sup> ومن هنا نشأت بقية الموجودات. حيث تأثرت المانوية بالآراء المسيحية فالثالوث المانوي (العظيم الأول ، أم الحياة ، الرجل القديم) هو نفسه التثليث المسيحي الذي تمثل في (الأب والابن وروح القدس) .

والإله هو المبدأ الأول الطيب ، والهيولى هي المبدأ الخبيث ، يتدخل الإله لينظم الحركة حيث يرسل قوة ثانية هي العقل ، فيبدأ بحركة التخليص . والإنسان مكون من النفس التي ترجع للعالم العلوي، والجسد يتبع العالم السفلي ، ومن بينهما الروح التي ترجع للعالم العلوي و اتحادها بالجسد قد تعلقت بالعالم السفلي . وهذا التنظير في عالم الإنسان له نظيره في العالم الدنيوي وهو خليط من الحياة الإلهية المنيرة ومن مادة مظلمة.<sup>2</sup>

وحسب المذهب المانوي أن الإنسان الأول مخلوق من نور الذي هو اهورا مازدا وكان هذا الإنسان في البداية نورا محضا ، والغاية من خلقه هي الجهاد ضد الظلام ، إلا أن الظلام انتصر على الإنسان وسجن جسمه النوراني في مادة مظلمة ، ثم عملت قوة إله الخير على تخليصه من هذا السجن ، إذا فهذه المادة هي أصل الشر لأنها سجن للروح النوراني وهكذا نشأت فكرة وجوب تخليص النفس من الجسم من خلال إنهاء هذا العالم المادي وذلك بإضعاف النوع البشري عن طريق حظر الزواج وإبادة النسل.<sup>3</sup> إذا فالإله هو مصدر كل خير ، إلا أن النفس الإنسانية عندما تتبع شهواتها تتوه عن طريق الفضيلة وتتحو الى طريق

<sup>1</sup> -أرثر كريستس ، إيران في عهد الساسانيينمرجع سابق، ص 173 ، 174

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص179

<sup>3</sup> - محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ، ص203 .

الرزيلة ،فماني يعتبر أن تكاثر الجنس البشري شر،ولكي يزول هذا الشر دعا إلى قطع النسل وهكذا ينتشر الخير والنور .

يرى ماني " أن امتزاج النور بالظلام الذي نشأ عنه وجود الكائنات المادية ، ولذلك يسود الظلام والشر في هذا العالم ، ويحدث الصراع الدائم . وتتحو المانوية نحو النزعة الصوفية التشفية إلى الحياة وينطلق ماني في نظرتة الثانية إلى النور والظلام من مبدأ الفصل بين الاثنين . والاتصال بينهما أدى إلى نشوء الكون والخلق ، وحركة الخلق تتجه من الظلام إلى النور، لأن النور خير بطبيعته ."<sup>1</sup> إذاخلق العالم ناتج عن امتزاج النور والظلام ، وهذا الدمج بين العناصرالنورانية والعناصر الظلامية بهدف تخليص العناصر الظلامية من الظلمة التي فيها وتصبح بذلك نورا .

ولقد وضعت الأخلاق المانوية سلسلة من القواعد خاصة الخواتيم السبعة : " التي منها أربعة روحانية تتعلق بالعقائد وثلاثة تبحث في سلوك المؤمنين وهي :

**خاتم الفم :** الكف عن الكلام المؤدي للكفر .

**خاتم اليد :** الاحتراز من كل فعل يغضب النور .

**خاتم القلب :** تجنب الاستسلام للشهوات الجنسية المحرمة ."<sup>2</sup>

وهذه الخواتيم ترشد الفرد المانوي إلى اتباع السلوك الصحيح كالصدق ، واجتناب المعاصي بغية الحصول على رضا الإله ، وترك الشهوات .كمافرض ماني على أصحابه " العشر في الأموال كلها، والصلوات الأربعة في اليوم والليلة والدعاء إلى الحق، وترك الكذب والقتل والزنا والسرقه والبخل والسحر وعبادة الأوثان، وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يأتي إليه بمثله وأضاف في وصيته الأخيرة، وهو أن يمتعالإنسان أن يمس روحا من الأرواح أن يمسه شخصيا ، فإنها تمثل قاعدة أساسية في الأخلاق كما هو معروف ، وهي قاعدة شاملة تشمل

<sup>1</sup> - محمد سليمان حسن ، تيارات الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ، ص 31 .

<sup>2</sup> - آرثر كريستنس ، إيران في عهد الساسانيين ، مرجع سابق ، ص 182-183.

الكائنات الحية جميعا .<sup>1</sup> حيث يدعو ماني اصحابه لاتباع مسالك الفضائل من صدق ، وكلام حسن والابتعاد عن الأنانية وأن يهتم الفرد بغيره بقدر اهتمامه بنفسه إضافة الى العفة وابتعاد عن السرقة والتحلي بالعفة والأساس الأهم في منظومته الأخلاقية تتمثل في أن يحب الإنسان لغيره ما يحب لنفسه .

وأخذ ماني نظرية التناسخ\* عن المذاهب الهندية ومن المحتمل أن يكون عن البوذية ، إذ لخص جاكسون ملاحظاته حول ذلك كالاتي : "إننا على حق إذا اعتقدنا أن ماني قد اتخذ من مذهب التناسخ مبدأ خاصا في تعاليمه الدينية ، ذلك أنه كان يقول أن العقاب في صورة من صور البعث ، سيكون مآل السماعين الأقل إيمانا والمذنبين ، واستثنى من ذلك الصديقين وهذا التناسخ لا يقع على الشخص نفسه وإنما يكون على الأجزاء النورانية فيه ، فهي تبعث ثم تبعث إلى أن تفنى في مملكة النور."<sup>2</sup>

ولعل المانوية قد تطرقت إلى مصير العالم كغيرها من الديانات ، إلا أن "ليس لها شيء جديد ، لأنها تبعت خطوات الزرادشتية شبرا بشبر إلا فيما يختص بفناء الشر وامتزاج مملكته بمملكة الخير وتحقيق السلام العام ، فقد أنكرت المانوية ذلك وجزمت بأن المملكتين ستظلان متباعدتين ومتعاديتين أبدا ."<sup>3</sup>

وفي الأخير نجد أن الفكر الفارسي يقوم بالإقرار بوحدة الخالق ، فإنه الخير عندهم هو الذي يقوم بالأعمال الخيرة جميعا ، فهي تمنح الإنسان الحياة والرزق والصحة وكل ما هو نافع ، في حين أن إله الشر ، هو المسؤول عن كل المصائب والأمراض والظلام والموت و

<sup>1</sup> - جمال شمس الدين ، الفضائل والقيم لدى الشعوب القديمة ، (د ط) ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، (د ت) ، ص84.

\*التناسخ : عقيدة شاعت بين الهنود ، مؤداها أن روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتتعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات . ( جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 346).

<sup>2</sup> - آرثر كريستيس ، إيران في عهد الساسانيين ، مرجع سابق ، ص 182 .

<sup>3</sup> - محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ، ص 203.

كل ما هو سيء في هذا العالم . وتدعو ديانتته إلى التحلي بالفضائل والقيم العليا والابتعاد عن كل الرذائل المحيطة به ، كما تحثه على الحكمة والإخلاص والصدق والعدل والحق وتطبيق ذلك في السلوك اليومية، والتخلي من القيود المادية وعن شهوات الدنيا ، كما عليه اختيار طريق النور للانتصار على الشر ليصل إلى السعادة الحقيقية ، فأعماله هذه سيحاسب عليها لذا يجب أن يفعل كل خير ويخلص فيها .

### المبحث الثالث : الأخلاق في الفكر الهندي

لاشك أن الهند كغيرها من الحضارات تحتل مركزا هاما في بلاد الشرق ، لما لها من عقائد دينية متنوعة واشتهارها الكبير بحكمتها فهناك من يعتبر أن الحكمة منشؤها الهند وقد شهد لها بذلك العديد من المؤرخين والفلاسفة ومن بينهم :

العلامة الفرنسي الأستاذ سيلوين ليفي : "إن من إيران إلى بحر الصين ، بثت الهند عقائدها، وعبقريتها، وقصصها حضارتها ، إنما تركت آثار لا تتضب على ريع من نوع البشر بأسره في خلال تتابع طويل من القرون . ولذلك لها الحق أن تطالب مركزها في تاريخ العالم".  
ويضيف المؤرخ اليعقوبي : "والهند أصحاب حكمة ونظر ، وهو يفوقون الناس في كل حكمة".  
ويقول المؤرخ المسعودي : "إن الحكمة من الهند بدؤها " ، ويقول مصنفو اليونان : "إن

الشعب الهندي أعقل الشعوب وفي الحكمة الأخلاقية حقا هو رفيع الشأن"<sup>1</sup>

ولعل للهند منظومة عقائدية ترأسها الحكمة وفيما يلي سأطرق لأهم ديانات التي سادت فيها كالبراهمية والبوذية .

#### 1\_ الأخلاق البراهمية :

أصل كلمة براهما\* يعود إلى العبادة لدى الهنود ، ثم تطورت التسمية ليصبح براهما الإله. حيث آلهة الهندوكيون يتميزون بكثرة أعضائهم الجسدية ، وبراهما كبير آلهتهم ، له أربعة وجوه حيث براهما الخالق ، وفيشنو الحافظ (إله الحب) ، وشيفا المدمر يشكلون الثالوث الذي يسيطر على الكون<sup>2</sup> ، فبراهما هو الإله خالق الكون ، وفيشنو هو الرحيم بالمخلوقات

<sup>1</sup> - السيد أبي النصر أحمد الحسيني ، الفلسفة الهندية ، ط1 ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ( د ت ) ، ص 26 ، 29 .  
\*براهما : اله مهم في الهندوس ، وهو العنصر الأول من الترموتي أو الثالوث الذي يخلق العالم من جديد في كل دورة من دورات العالم . (جون ر . هينليس ، معجم الأديان ، ت : هاشم أحمد محمد ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2010 ، ص 116 .)

<sup>2</sup> - لبيب عبد الستار ، الحضارات ، ط17 ، دار المشرق ، بيروت ، 2008 ، ص 312.

الذي يساعدهم على فعل الخير، وشيفا هو الذي يحارب الفساد وهذه الالهة الثلاث هي المسؤولة عن استمرارية الوجود .

وتنقل الفيذا\* أن الديانة البراهمية تقوم على أساس فكرتين هما :  
وحدة الوجود :أي أن جميع الكائنات صادرة عن الإله .

تناسخ الأرواح : الروح لا تفنى بقاء الجسد ، بل تنتقل إلى جسم آخر حتى تتطهر مما قد علق بها أثناء حلولها في الجسم السابق .

فالإيمان بوحدة الوجود وأن الانسان مظهر من مظاهر الإله براهما ، وأن العلاقة بينهما تقوم على الطاعة ، وبهذا ينال رضا الإله ويتحد معه ، ثم يعكس هذا على سلوك الأفراد ليعيشوا عيشة الزهد ويتخلوا عن ملذات الحياة وهكذا يمكن الوصول إلى النرفانا\*<sup>1</sup>.

عند موت الإنسان تنتقل روحه الى جسد طفل ولد لحظة وفاته ، وعلى هذا الأساس لا يوجد اليوم الآخر عند البراهمة ، وانما ربطوا الثواب بعد الموت بعملية التناسخ وحلا لمشكلة مصير النفس بعد موت البدن في عقيدتهم ن واثباتهم على أنهم يتمتعون بنقاوة الجنس الذي يحق له الاشتراك مع الالهة في ادارة شؤون العالم.<sup>2</sup>

ولعل الفرد في الفلسفة البراهمية مكون من كائنين أحدهما حق والآخر زائف ، فنظرته إلى أعماله على أنها خير وحق ، ويعتبر نفسه جزءا من الإله تخالف نظريته لهذه الأعمال في

---

\* الفيذا: كلمة سنسكريتية مشتقة من الأصل فيد بمعنى "يعرف" : والمقصود الكتب المقدسة القدم التي تضم أسفار هي الريخ فيد وهي ترانيم تصاحب تقديم القرابين، والياجورفيدا وهي نصوص إضافية مرتبة حسب القرابين، وأخيرا الأثر فيدا وهي سفر الفقراء تضم نصوصا يفسرها البعض على أنها مادة للرقى السحرية. ( جمال المرزوقي ، الفكر الشرقي بدايات التأمل الفلسفي ، ط1، دار الأفاق العربية ، القاهرة، 2001، ص211).

\* النرفانا :حالة من السعادة يبلغها الإنسان في هذه الحياة باقتلاعه كل شهواته الجسدية اقتلاعا تاما ، ( ول وايرلديورانت ، قصة الحضارة الهند وجيرانها ، ت : زكي نجيب محمود ، ج3 ، م1 ، ( د ط ) ، ( د ت ) ، دار الجيل ، بيروت ، ص84 . )

<sup>1</sup> - زروق زينيه وآخرون ، الفلسفة الأخلاقية ، ط1، دار الأمان ، الرياض ، 2013 ، ص33.

<sup>2</sup> - أسعد السحمراني ، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1988 ، ص 56 .

حالة اقتناعه بأنه حق وباطل فكان الفرد الهندي حسن النية بشخصيته ، ولهذا نصت الفيدا على أن جميع الاعمال البشرية خير وان الشر لا يقع إلا من خلال الخطأ في الطقوس الدينية او التقصير في ادائها .<sup>1</sup> إلتعتبر البراهمية أن الإنسان غير مذنب في فعّاله وإنما تلك الأفعال تكون بالخطأ فقط دون قصد منه ، فهو جزء من الإله ولا يمكن أن يخطأ .

ولقد تم تقسيم الشعب الهندي في عهد البراهمة إلى أربعة طبقات ، وهي :

**البراهمة** : وهم رجال الدين، يشرفون على المعابد وأداء الطقوس الدينية، ويقومون بالتعليم والتربية.

**كشتر** هم القريبون من مستوى البراهمة لأنهم الأشراف ، وقواد الجيش ، يدافعون عن البلاد، ومنها يتشكل الحكام .

**فايساس** : وهم المزارعين والتجار وأصحاب المهن .

**شودر** : هم أصحاب المهن الحقيرة ، ويسمونهم بالمنبوذين .<sup>2</sup>

ويتميز هذا التقسيم الطبقي لدى البراهمية بالعنصرية ، فطبقة البراهمة وهي التي تعتبر نفسها قريبة من الإله تتمتع بكامل حقوقها ، في حين الطبقة المنبوذة تحرم من هذه الحقوق كمنعهم من أداء الطقوس الدينية . فعلاقة البراهمة والمنبوذين مثل علاقة العبد بسيده ، وهذا ما يؤدي إلى تشكل منظومة غير عادلة وهذا ما يؤدي إلى هدمها .

ولعل الأخلاق البراهمية " تركز على تزكية الروح والسعي ما أمكن للتقرب من الإله الخالق بالترفع عن الأهواء والشهوات لأن مثل هذا السلوك يجعل النفس تكتسب سمة الحياة الخيرة عند حلولها في البدن ."<sup>3</sup> كما اهتمت ديانتهم بالطقوس والشعائر المرتبطة بالإله براهما تقدمت له القرابين ، وقدسته ، باعتباره ليس مستقلا في ذلك . بل يحل في جميع مخلوقاته

<sup>1</sup> - محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ، ص 109 .

<sup>2</sup> - أسعد السحمراني ، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة ، مرجع سابق ، ص 55 .

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 51 .

الطيب منها والخبيث ، فيشاركها آلامها وآثامها.<sup>1</sup> فكل قربان يعيد العمل الأول للخلق ويضمن استمرارية العالم للعام الجديد ، فالقربان عند البراهمان هي إعادة خلق الكون ، فعبر التضحية يستمر العالم حيا متاميا وخصبا ، وهذا تطبيق جديد لفكرة موغلة في قدمها تطلبها التكرار السنوي . كما أنه تحقيق لمفخرة البراهمان مقتنعون بأهمية الشعائر ، لأن الشمس لن تشرق أبدا إذا لم يقدم الكاهن ضحية في الفجر.<sup>2</sup> فتعتبر القربان طقس هام في الديانة البراهمية ، حيث تقديم القربان للإله سيؤدي إلى استمرارية الخلق وبهذا يحوزون على رضا الإله وإن لم تقدم له سيحل بهم غضبه وهكذا سيزول هذا الوجود .

### 2\_ الأخلاق البوذية :

إن نفوذ طبقة البراهمة بكل مزايا المجتمع الهندي القديم ومبالغتها بفكر الطبقة في تنظيم الحياة الاجتماعية أدى إلى الثورة عليها . فبرز دين جديد هو البوذية\* كرد فعل على البراهمية ومحاولة لإصلاح الوضع الديني في الهند ، كانت ثورة على مجموعة من العقائد ، ودعوة تنسم بالطابع العملي الأخلاقي .<sup>3</sup>

تأسست الديانة البوذية على مبدأ الألم ، فحياة الإنسان كلها ألم ، فالولادة ألم ، والانحلال ألم ، والمرض ألم ، والموت ألم ، وعدم حصولنا على ما نرغب فيه ألم ، والتعلق بالوجود ألم ، وهذا ما يجعل حياة الإنسان شقاء ، ويرى أن سبب هذا الألم والشقاء راجع لرغبة الإنسان في حصول على اللذة والسعادة .<sup>4</sup> فحقيقة وجود الإنسان عندبوذا أساسها الألم ، فحياة الإنسان من ولادته إلى غاية موته لا يعرف سوى الألم .وسبيل انقطاع هذا الألم يتمثل في أن يتحلى

<sup>1</sup> - عبد الرزاق رحيم صلاح الموحى ، العبادات في الديانات القديمة ، ( د ط ) ، دار صفحات ، سوريا ، 2012 ، ص 41

<sup>2</sup> \_ ميرسياإلياد ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ت : عبد الهادي عباس ، ج 1 ، ط 1 ، دار دمشق ، سوريا ، 1986 ، ص 282.

**البوذية\*** : هي التعاليم الدينية والفلسفية التي جاء بها بوذا اسمه سيدانتا ، تاريخ ميلاده ووفاته ليس معروفا . ( جون ر هينيليس ، معجم الأديان ، مرجع سابق ، ص 122،280).

<sup>3</sup> - زروق زينيه وآخرون ، الفلسفة الأخلاقية ، مرجع سابق ، ص 35.

<sup>4</sup> - أسعد السحمراني ، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة ، مرجع سابق ، ص 58 .



الإنسان بالفضيلة وأن يتخلى عن الشهوات وملذات الدنيا و الطريق المؤدي لتجاوز هذا الألم ينقسم إلى ثماني شعب، وهي: الاعتقاد الصحيح والمطمح الصحيح، الكلام الصحيح، السلوك الصحيح ، المسعى الصحيح ، التفظن الصحيح ، التأمل الصحيح .<sup>1</sup>

فتعاليم بوذا متمثلة في المقولة التالية : "هجر الأفعال الهدامة ، واصنع الأفعال البناءة المتقنة ، روّض ذهنك بهجر الإنسان للأفعال السلبية ومثال ذلك التوقف عن إيذاء الآخرين والدوافع الهدامة كالغضب ، واتقان الأعمال البذّاءة من خلال الأّزان والحب والشفقة ، وترويض الأذهان وفهم الواقع ومن هنا يحقق هدوء النفس وراحة البال ."<sup>2</sup>

ولقد أدرك بوذا أن هناك طريق وسط لتحقيق السعادة الروحية: إذ أن " هناك طرفان يجب على كل من يريد أن يحيا حياة روحية أن يبتعد عنهما أحدهما حياة اللهو وهي وضعية تافهة ومخالفة للعقل وأخرى حياة الزهد و الحرمان وهي كئيبة لا طائل تحتها، والحكيم هو الذي يميز بين هاذين الطرفين والطريق الذي يسر النظر والعقل ويؤدي إلى النرفانا أي الطمأنينة."<sup>3</sup> كما وضع قواعد خلقية بمثابة وصايا ليهتدي بها الناس للوصول الى الحياة السليمة، وهي :ألا يقتلن أحدا كائن حيا و لا يأخذن أحدا ما لم يعطه و لا يقولن أحد كذبا، و لا يشربن أحدا مسكرا و لا يقيمّن أحد على دنس .<sup>4</sup>

فالأصالة في مذهب بوذا ترجع إلى"رفضه التقشف و مائة الجسد الذين تمارسهما البراهمة . كما يرفض التمتع بالحياة ، فالتخلي عن العالم إنما يركز على الانفصال الداخلي عنه لا على الاعمال ."<sup>5</sup> كما يوصي أتباعه من خلال رسالته بترك الأفعال المذمومة كالكذب

<sup>1</sup> \_ فراس السواح ، موسوعة تاريخ الأديان ، ط4 ، دار التكوين ، دمشق ، 2017 ، ص 200.

<sup>2</sup> - تويتين تشوردين ، البوذية للمبتدئين ، ت : المبادرة العربية للترجمة ، الدارما (د ط) ، (د ت)

<sup>3</sup> - محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، (د ط) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000 ، ص 26.

<sup>4</sup> - ول وايرلديورانت ، قصة الحضارة الهند وجيرانها ، مرجع سابق ، ص 77 .

<sup>5</sup> - ألبير تويترز ، فكر الهند ، ت : يوسف شلب الشام ، ط1 ، دار طلاس، دمشق ، 1994 ، ص 83 .

واحترام أرواح الناس ، والطهارة ليصل إلى حياة مثلى . كما يدعو إلى الزهد وذلك بالتخلي عن الشهوات ويكون عن رضا وليس بإرغامه على ذلك .

من خلال ما سبق نجد أن البوذية قد قامت على الاهتمام بالجانب العملي السلوكي في حياة الإنسان ، وبشكل أساسي في إخضاع النفس لضوابط وقيود تهدف إلى قمع الشهوات ، وهذا يؤدي إلى تطهير النفس وخلصها ويقودنا هذا الأمر إلى التقرير بأن عقيدة بوذا هي عبارة عن مبادئ خلقية ودعوة قائمة على اصلاح النفس بالتأمل وتربية الخلق بالتهذيب والعمل<sup>1</sup> . وقد اهتم بوذا في عقيدته بالنفس وصلاحها من خلال تأصيل الفضائل فيها ، وتهذيب خلقها واخماد شهواتها والتخلي عن أنانيّتها بالاهتمام بالآخر .

وقد كانت فكرة بوذا عن الدين خلقية خالصة ، فكل ما يعنيه هو سلوك الناس ، أما الطقوس والشعائر الدينية والعبادة ، وما وراء الطبيعة واللاهوت ، فكلها عنده لا تستحق النظر<sup>2</sup>.

ولعلمن يبلغ المعرفة عبر هذا الطريق الذي يحرره من الألم وبذلك يتحرر من الولادات المتكررة على هذه الأرض "أي من التناسخ" فالإنسان مركل من جسم وروح . عندما يفنى الجسم تبقا النفس وتعيش في كثير من الأجساد تائهة على الأرض حتى تصفو وعندها ترتفع الى النرفانا وبذلك تعيش حياة السكينة الهادئة<sup>3</sup> . فالإنسان له الإرادة في الفعل الخلقى من فضيلة واستقامة وخير ، وسبب الرذائل في حياته راجع للشهوات الدنيوية التي لا يمكن اخمادها إلا عن طريق الحكمة ومكابدتها ، وهكذا يصل إلى الراحة والسكينة التي يبحث عنها ، ويعيش حياة سعيدة .

<sup>1</sup> - أسعد السحمراني ، الأخلاق في الاسلام والفلسفة القديمة ، مرجع سابق ، ص 59 .

<sup>2</sup> - ول وايرلديورانت ، قصة الحضارة الهند وجيرانها ، مرجع سابق ، ص 78 .

<sup>3</sup> - مصطفى النشار المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 102 .

### نتيجة :

وخلاصة القول أن الفكر الأخلاقي هو سبيل تطور المجتمعات ، وذلك من خلال الاهتمام بالجانب العملي لسلوك الإنسان ، وصلاح النفس من الفرد إلى المجتمع ، فطغت مبادئ إنسانية تسعى لتماسك المجتمع وهذا ما وُجد في حضارات الشرق القديم ، فعلى الرغم من أنها لم تكن في مستوى أخلاقي واحد ورغم اختلاف مبادئهم واتجاهاتهم ، فكل حضارة سعت لوضع منظومة أخلاقية خاصة ، إلا أنها تتفق في اهتمامها الأول بالإنسان من خلال إرساء مبادئ إنسانية صالحة لكل زمان ومكان .

### تمهيد:

تعتبر الحضارة الصينية من أقدم حضارات الشرق القديم التي ازدهرت في أقصى الشرق تمتاز عن سائر الحضارات بفلسفتها العملية ، كما تميزت بظهور العديد من الفلاسفة من بينهم كونفوشيوس ، الذي استمد فكره من الأوضاع التي كانت سائدة في الصين كالفوضى الخلقية التي بسبها تولى المجتمع الصيني عن العادات والتقاليد التي كانت سائدة آنذاك ، وهذا ما جعل كونفوشيوس يفكر في تغيير ما يجب تغييره ، ووضع منظومة عقائدية لإصلاح الفساد .

### المبحث الأول : الأوضاع السياسية والاجتماعية للمجتمع الصيني

إن حضارة الصين " لم تكن دولة متحدة بل مجموعة دول متصارعة ، فكل دولة تحاول التوسع على حساب الأخرى فضلا عن انقسامها إلى ولايات و إقطاعيات ، وقد بلغ عددها سبع عشر دولة . ثم اسفرت عن سبع دول كبرى ، وكديدن المجتمعات البشرية الأولى تكونت جميعها ابتداء من الاستقرار على ضفاف الأنهار ثم امتصاص أقوى الزراع لجهود ضعافهم وصغارهم ، ثم اندماج كل منها تحت رئاسة رجل مقتدر أو زعيم ، يدين له بالولاء ، ليكفل الأمن والنظام ويضمن الحقوق والواجبات ويفض النزاعات ويضطلع برد هجمات المغيرين .<sup>1</sup> فالشعب الصيني شعب زراعي ، إذ أن الزراعة هي التي ساعدتهم على ازدهار بلادهم ورفقيها ، حيث كان هذا التطور سببا في نشوب الصراع وانقسام الصين إلى ولايات و اقطاعيات لصد الغزو الذي يحيط بهم من خلال وضع رئيس يهتم بهم ويتكفل بأمورهم ، لكن سرعان ما تحولت هذه اقطاعيات إلى ملكيات خاصة تتصارع فيما بينها . كما يتكلم الصينيون لغة غير مرتبطة بأية جماعة لغوية أخرى ، ولهم خط اخترعوه لا يشبه غيره من الخطوط ، له ميزة تتمثل في رموزه التي تترجم إلى كتابة لتعبر عن الأفكار ، وبهذا يمكن قراءتها في أنحاء الصين بعيدا عن الاهتمام بلهجتهم ، حيث كتبت بهذا الخط قبل ألفي سنة يمكن قراءتها اليوم بسهولة ، فاللغة وكتابتها لها دور بتحسيس الشعب بالوحدة والهوية إضافة إلى الاستمرار والاتصال .<sup>2</sup>

ويمتد تاريخ الصين من الاسر الثلاث شيا وشانغ وتشو :

تعتبر أسرة شيا من الأسر المالكة في تاريخ الصين ، تطورت في القرن 21 قبل الميلاد ، من عشيرة شيا ، اهتموا بالزراعة واستخدموا في ذلك بعض التقنيات البدائية ، وتميزهم بالنشاط الزراعي راجع لمهاراتهم ومعارفهم الفلكية ، ومع هذه الأسرة ظهر مجتمع

<sup>1</sup> \_ يمني طريف الخولي ، المنتحبات لكونفوشيوس ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1994 ، ص 6.

<sup>2</sup> \_ جفري بارندر ، المعقنقات الدينية لدى الشعوب ، مرجع سابق ، ص 223.

العبيد والاسياد.<sup>1</sup> إذ تروي الأساطير الصينية القديمة " أن الصين دخلت المجتمع البدائي بعد أن تأسست أسرة شيا الملكية ، وفي المجال السياسي طبقت هذه الأسرة نظاما وراثيا مفاده أن الأب يرث مكانة الأب ، بدلا من نظام التنازل عن العرش الذي كان سائدا في المجتمع البدائي الصيني . وفي الوقت نفسه قامت هذه الأسرة بتشييد الحصون والأساور حول المدن ، وبناء الجيش ، وسن قوانين العقاب ، وتحطيم روابط قرابة الدم المعمول بها وتقسيم البلاد الى مناطق واقاليم .<sup>2</sup> إذ استوطن في شيا الغربية قوميات مختلفة ، حيث كانت تعيش على الرعي ، ولها العديد من المنتجات المحلية كالأبقار والغنم والخيول والملح، كما كان لها امتداد على ضفتي النهر الأصفر حقول شاسعة وزراعة الشعير ، وكان معظم مزارعيها من الهان .<sup>3</sup> كما ذكر المؤرخون الصينيون بأن " ملكية الأضي جماعية ، وكانت ملكية الأسلحة فقط فردية ، وكانت الزراعة ورعي القطعان أنشطة جماعية ، وكان الجميع يتقاسمون المنتجات والمحاصيل ، وهناك شاهد على أن المجتمع الأول كان أمومي أو أخوالي على الأقل ، وعاش الناس في عشائر وكونت العشائر المجاورة قبائل يقودها زعماء قبليون منتخبون وشكلت القبائل أحلafa لحراسة أراضي الرعي والصيد الخاصة بهم ضد هجمات الجيران المعاديين."<sup>4</sup> فكان العبيد في المجتمع الصيني يشتغلون بكل الحرف كالزراعة و الرعي وتربية الحيوانات التي ساهمت في تطورها إلا أنهم لم يتحلوا القمع الذي مارسه السادة عليهم مما أدى بهم إلى الهرب من ذلك الظلم و اللجوء إلى أسرة شانغ.

<sup>1</sup> \_ دون مؤلف ، تاريخ الصين ،سلسلة كتب سو الصين العظيم ، ج 1 ، ط 1 ، دار مجلة بناء الصين ، بكين ، الصين ، 1986 ، ص 10

<sup>2</sup> \_ خه جاو وو واخرون ، تاريخ تطور الفكر الصيني ، ت : عبد العزيز حمدى عبد العزيز ، ط 1 ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 2004 ، ص 37

<sup>3</sup> \_ دون مؤلف ، تاريخ الصين ،سلسلة كتب سو الصين العظيم ، ج 2 ، ط 1 ، دار مجلة بناء الصين ، بكين ، الصين ، 1987 ، ص 13

<sup>4</sup> \_ هيلدا هوخام ، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين ، ت : أشرف محمد الكيلاني ، ط 1 ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 2002 ، ص 16 .

وبالنسبة لأسرة شانغ كغيرها تميزت بوجود النظام العبودي ، فكان للعبيد دور هام في التطور الاقتصادي حيث كانت الزراعة هي أهم قطاع انتاجي لها ، وكان العبيد يعملون أشق الأعمال باستخدام الأدوات البدائية كما تولوا تربية الحيوانات لأسيادهم التي يستغلونها في معيشتهم و أداء طقوسهم إلا أن هؤلاء العبيد قد واجهوا الاضطهاد بالإهمال في عملهم و تخريب أدوات الإنتاج والهرب ، كما قاموا بالعديد من الانتفاضات ، التي ضغطت على حكم لمرة شانغ و حرمته طعم الاستقرار.<sup>1</sup>

وهكذا فقد تطور النظام العبودي في عصر أسرة تشو ، إذ كانت ملكية الأراضي ترجع إلى الدولة ، حيث كان الأمراء و الوزراء يستغلونها لحسابهم و يتوارثونها ، إلا أنهم لا يملكون حق بيعها ، وعبيدها كان يشتغلون في الزراعة كما اهتموا بالحرف اليدوية وكل هذه الأعمال تكون على عاتق العبيد .<sup>2</sup> كما كان نظام امبراطورية التشو السياسي استبداديا من النمط الشرقي بمبدأ ملكية الدولة للأرض واستغلال المشاعات ، " إن المشاعات القديمة تشكل منذ آلاف السنين أساس شكل الدولة أكثر تخلفا ، وكانت الدولة التي تشكلت بعد تمزيق الصين في بداية الألف الأول قبل الميلاد موضوعة تحت وصاية الطغاة الذين يعون جيوشهم كانوا يمارسون الطبقة السائدة على المشاعات و العبيد."<sup>3</sup>

لقد ميزت العقلية الصينية عن غيرها من عقليات الأمم الأخرى بسرعة تحول النظريات إلى أخلاق عامة لدى الشعب كله ، ولهذا قال أحد الباحثين وهو سوزوكي: " إن كان الدين ممثلا في اليهود والتنسك في الهنود والتفلسف في الإغريق فإن الأخلاق هي الثقافة الروحية التي التقت في إمبراطورية الوسط (ويقصد بها الصين) بممثليها الحقيقيين و بنموها المنظم

<sup>1</sup> دون مؤلف ، تاريخ الصين ،سلسلة كتب سو الصين العظيم ،مرجع سابق، ص13.

<sup>2</sup> \_مرجع نفسه ، ص 14\_15.

<sup>3</sup> \_ف.دياكوف ، س . كوفاليك، الحضارات القديمة ، ج1 ، ت : نسيم واكيم اليازجي ، ط1 ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، 2000 ، ص234.

المحدود .<sup>1</sup> فالحضارة الصينية لم تهتم بالأخلاق النظرية ، بل كان كل اهتمامها في أن تكون سلوكا عمليا يتجلى في أعمال الناس .

كما يعتبر الفكر الصيني فكرا إنسانيا ، وهذا الاهتمام الكامل للإنسان فهو مصدر القيم جميعا ، حيث " تميز الفكر الفلسفي بنزعة إنسانية واضحة ، وقد بدأت هذه النزعة الإنسانية تسود الفكر الصيني منذ بداية الوعي الفلسفي الحقيقي لدى الإنسان المعاصر ، وتميزت هذه النزعة الإنسانية بالتركيز على وحدة الإنسان وعلى التكامل بين الإنسان و الطبيعة ، واعتبار الإنسان وسيلة تحقيق القيم المطلقة في العالم ."<sup>2</sup>

وللأخلاق الصينية الفضل الكبير في تماسك الصين اجتماعيا و سياسيا ، فقد ربط الصينيون ، المظاهر الطبيعية بالفضائل الأخلاقية ، حيث بنوا تصورهم على أن السماء والأرض و الإنسان تربطهم صلة وثيقة ، فأى خلل في واحدة منهم يكون له صدى في الأخرى ، و مثال ذلك عند ارتكاب الإنسان معصية ما يكون بذلك قد ابتعد عن طريق السوي وهو صوت الطبيعة أو صوت السماء ، وبهذا يحدث اضطراب فيهما مما يؤدي إلى انتشار الاوبئة.<sup>3</sup>

ولعل الواجب هو الذي كان يقود الشعب فكل فرد يحاول أن يكون فاضلا قدر مستطاعه لكي لا يكون سببا في جلب الوباء أو الجذب فتشقى بسببه الأمة جمعاء ، و الفضيلة عندهم ليست مجرد تحقيق لفعل ما بالأعمال الخيرية ، بل تكمن في كمال الخلق وتحقيق الاستتارة التامة للنفس و اتباع الصراط السوي في كل شيء و هذا الصراط الفطري لكل روح بشرية وهو دليل على احترام النفس الإنسانية وارتباطها بالسماء . ولعل أهم فضيلة نصت عليها الأخلاق الصينية تمثلت في الرحمة التي تجب للصغير على الكبير و للضعيف على القوي

<sup>1</sup> \_صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الفلسفي ، ( د ط ) ، ( د ت ) ، ص 8.

<sup>2</sup> \_مصطفى النشار ، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، مرجع سابق ، ص 39.

<sup>3</sup> \_صلاح بسيوني رسلان ، مرجع سابق ، ص 54.



و للفقير على الغني .<sup>1</sup> فقد ربط الصينيون الأخلاق بالمظاهر الطبيعية و الواجب الذي يلزم الإنسان باتباعه ، فكل فعل يقوم به الإنسان سيؤثر ذلك حتما على الطبيعة سواء بالنفع أو الضرر ، لأن بينهما باطا متماسكا ، لذا على الإنسان أن يتبع طريقا صائبا لكي لا يلحق الضرر بالطبيعة .

حيث يرى كونفوشيوس أن سلوك احترام من يستحق الاحترام يجلب الغيث في الوقت المراد، والتبصر يجلب الحرارة ، والتمرن على التأمل يجلب البرودة و حكمة الملك تجلب الهواء . إلا أن الفظاظة تديم المطر بلا انقطاع ، و الكسل يديم الحرارة ، والتهوس يجلب البرد ، و احتقار ما يستحق الاحترام يجلب الجذب و الحماقة تجلب العاصفة .<sup>2</sup> تفضيلة الاحترام تقوم على تجنب الإنسان من اتباع الشهوات و فعل الرذائل التي تكون سببا في جلب الكوارث الطبيعية وانتشار الاوبئة ، لذا يجب عليه أن يكبح شهواته و يطهر قلبه .

<sup>1</sup> \_ محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ، ص224\_226.

<sup>2</sup> \_ صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الفلسفي ، مرجع سابق ، ص55.

### المبحث الثاني : التربية والتعليم وعلاقتها بالأخلاق في فكر كونفوشيوس

شكل كونفوشيوس\* مدرسة خاصة في تاريخ الصين اهتمت بتربية الأفراد، بحيث كانت التربية عندهم تعني التطور و التنقيف عقليا و أخلاقيا لتوسيع المدارك وتقويمها و تنظيمها، إذ لم يعتمد النمط التقليدي في مهنة التدريس، رغم أن كليهما يهدف لتهيئة الطالب ليكون موظفا حكوميا الذي يكون أداة في يد الحاكم وبهذا يفعل كل ما يريده منه ، إلا أن ر أي كونفوشيوس<sup>1</sup> بإمكان تلاميذه أن يحدثوا ثورة في الحكومة ويخضعونها لخدمة الشعب ولهذا العمل تم إعدادهم جيدا من خلال تعليمهم وذكائهم المتطور<sup>1</sup>. فاهتمامه بتعليم أفراد المجتمع الصيني، راجع لدور التربية التي تنمي عقولهم وتثيرها، كما كان يهدف إلى جعل المتعلم موظفا حكوميا يخدم الشعب ولا يخضع لأي سلطة ظالمة .

حيث استمد كونفوشيوس إلهامه من الكتب الكلاسيكية الخمسة وتضمن فكره في الكتب الأربعة والكلاسيكيات الخمسة وهي كالتالي : كتاب التاريخ شوتشينج وهو مجموعة من السجلات والوثائق الرسمية، كتاب الشعر شيه تشينج وهو مجموعة من الأشعار تعود لعهد تشو، كتاب التغيرات اي تشينج وهو مجموعة من الصياغات لتفسير الطبيعة تستخدم في أغراض العرافة ، كتاب الطقس لي تشيه وهو مجموعة من القواعد التي تنظم السلوك الاجتماعي، حوليات الربيع والخريف تشو تشو وهو التاريخ في الأحداث في الفترة من 722 إلى 464 ق م<sup>2</sup>. وقد وضع كونفوشيوس هذه الكتب للحفاظ على ثقافة الصين القديمة ، وبإمكان أي فرد صيني

---

\*كونفوشيوس : كونغ كيو تسو تشون ني ، المعروف بكونج فو تسو ولد عام 551 ق.م في شانغ بينغ ومات في 479 ق م ، وكونفوشيوس وكونغ فو تسو تعني المبجل المعلم كونغ ، كان داعيا لبر الوالدين . دخل ميدان الإدارة العامة وعمل كمعتمد الجباية حق الارعاء ثم اتجه الى التعليم وهو في سن 22 سنة كما وضع مجموعة من الأفكار في الحكم ، ألف مجموعة كتابات قانونية للعصر القديم والحكومة من خلال تصور مثالي للتاريخ .(جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، ط3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، 2006 ، ص551\_552).

<sup>1</sup> هـ . ج . كريل ، الفكر الصيني من كونفوشيوس الى ماوتسيتونج ، ت : عبد الحميد سليم ، (د ط) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، مصر ، 1971 ، ص47.

<sup>2</sup> جون كولر ، الفكر الشرقي القديم ، ت : كامل يوسف حسين ، (د ط) ، عالم المعرفة ، الكويت 1995، ص 320.

الإطلاع عليها حين يحتاجها . إضافة إلى الكتب الأربعة وهي : مختارات كونفوشيوس لـ يونغ\* ، العلم العظيم تاهسو\* ، عقيدة الوسط تشونجيونج\* ، كتاب منشيوس منح تسو\*<sup>1</sup> . وقد اتبع كونفوشيوس في تعليمه منهجا شبيه لمنهج سقراط ، إذ حاول من خلاله أن يرشد تلاميذه إلى الحقيقة عن طريق المحاوراة المنطقية والاعتماد على النفس في البحث عن الحق وهدم الباطل بعيدا عن التقليد ، يتدرج هذا البحث من المحسوسات إلى المعقولات ، ويصعد من الماديات إلى المعنويات . كما لجأ لوضع أمثلة حية من أخلاق الحكماء والملوك والقصائدية المفعمة بالفضيلة والحوادث التاريخية التي يمكن أن تكون نموذج النبيل والسمو وكان يعلم تلاميذه الأدب والفلسفة والفن والأخلاق.<sup>2</sup> حيث يقول كونفوشيوس لتلميذه يوه : " أعلمك شيئا فاحفظ عني ، لا تقل أعرف إلا إذا عرفت ، فإن جهلت شيئا فقل لا أعرف ، فهذا هو رأس الحكمة ."<sup>3</sup> فهدف كونفوشيوس من استخدام هذا المنهج هو أن يعلم تلاميذه بأن لا يعتمدوا على الحفظ بل يرشدهم إلى البحث والكشف عن ما هو غامض وأن يستخدموا قدراتهم وامكانياتهم لأنها ستكون وسيلة لتطوير وتنمية المعارف . كما أوتي كونفوشيوس ملكة الوعظ والإقناع وتبسط المعقد من الآراء والنظريات ، "فأثر أن يشتغل بمهنة التدريس ليعلم الناس ويتفهم وليقرب العويص من النظريات والآراء إلى أفهامهم وذلك بجعلها على هيئة وصايا وأمثال وقصص."<sup>4</sup> حيث يتميز بأسلوبه البسيط في

\*يونغ يو : مجموعة من حكم كونفوشيوس وأقواله المأثورة ، وهي أكثر الكتب انتشارا (أحمد الشنتناوي الحكماء الثالث ، مرجع سابق ، ص 139).

\*تاهسيو : هي منهج لتقويم الأخلاق والبحث في الفضيلة ( مرجع نفسه ، ص 139).

\*تشونجيونج : عبارة عن إرشادات في الاعتدال وعفة النفس والتوسط في الأمور ( مرجع نفسه ، ص 139).

\*منح تسو : مجموعة من الشروح التي قام بها كبار الشراح لمصنفات كونفوشيوس (مرجع نفسه ، ص 139).

<sup>1</sup> جون كولر ، الفكر الشرقي القديم ، مرجع سابق ، ص 320.

<sup>2</sup> محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ، ص 255.

<sup>3</sup> كونفوشيوس ، الكتب الأربعة المقدسة ، ت: محمد حسن فرجاني ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009 ، ص 32.

<sup>4</sup> أحمد الشنتناوي بالحكماء الثالث ، مرجع سابق ، ص 126\_127.

التعليم من خلال التدريس بالأمثلة ليسهل على طلابه فهم واستيعاب المعلومات وترسيخه في عقولهم ، وبهذا تصبح قواعد بإمكان الجميع اتباعها .

ولعل أساس المعرفة عند كونفوشيوس يرجع للبحث فبفضله تستمر وتجدد معارف الفرد فقد حرص كونفوشيوس على أن يكون مصدر معرفته هو الدراسة والبحث ، وليس التأمل النظري أو الإلهام، لأن محب العلم يتعلم كل يوم ما ينقصه، ولأن طريق العلم طريق شاق ، لا يعني فيه التفكير عن التعلم كما أن التعليم لا يجدي بدون تفكير فكلاهما لا يفترقان ، وتعبير آخر : إن التفكير دون تعلم خطر وملل ، كما أن التعلم دون تفكير عدم .<sup>1</sup>، ولنجاح سير عملية التعليم يجب مراعاة أن يكون للتلميذ معلم قدير له خصال تؤهله لكي يكون في هذا المنصب ، فالمعلم له دور هام في عملية التعليم فهو ليس مجرد ملقن للمعلومة بل كيوّن شخصية التلميذ ، لذا يسعى لأن تكون علاقته بتلاميذه مبنية على الانسجام فيما بينهما وبهذا يسهل التواصل ، فهو بمثابة الأب داخل الأسرة والحاكم داخل الدولة ، فالعلاقة بين المعلم والتلميذ علاقة مقدسة وهو قدوة تلميذه.<sup>2</sup> فلا يمكن أن تسير عملية التعليم دون معلم ، فهو يرشد التلميذ ويساعده على اكتساب المعلومات وتنمية معارفه، والعلاقة بينهما تبنعلى الاحترام والتقدير ، فعلى التلميذ أن يحترم معلمه وعلى المعلم أن لا يشعر التلميذ بالخوف لتسهل عملية تعليمه . ويؤكد تلاميذ كونفوشيوس " أن المعلم كان مبرء من أربعة عيوب : كان لا يجادل وفي عقله حكم سابق مقرر ، ولا يتحكم في الناس ويفرض عليهم عقائده ، ولم يكن عنيدا أو أنانيا . وكان يصف نفسه بأنه ناقل وليس منشئ ، وكان يدعي أن كل ما يفعله هو أن ينقل إلى الناس ما تعلمه من الإمبراطوريين يوشين ، وكان شديد الرغبة في حسن السمعة والمناصب الرفيعة ، ولكنه لم يقبل أن يتراض على شيء مشين ليحصل عليها أو يستبقها وكم من مرة رفض مناصبا رفيعا عرضه عليه

<sup>1</sup> \_ صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 97.

<sup>2</sup> \_ هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، ( د ط ) ، دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 ، ص 117 .

رجال بدا له أن حكومتهم ظالمة<sup>1</sup> فهو معلم من الطراز الأول ، يعتقد أن التثائي عن تلاميذه وعدم الاختلاط بهم ضروريان لنجاح التعليم ، كان شديد المراعاة للمراسيم وكانت قواعد الآداب والمجاملة طعامه وشرابه ، كما يبذل كل ما في وسعه للحد من قوة الغرائز والشهوات وكبح جماحها بعقيدته المتمزطة الصارمة وقال مرة " قد أكون في الأدب مساويا لغيري من الناس ، ولكن خلق الرجل الأسمى أو الماجد الذي يختلف قوله عن فعله هو ما لم أصل إليه بعد ."<sup>2</sup> وقد شهد له تلاميذ بالتواضع ، فهو لا يقول بأنه يعلم إلا إذا كان يمتلك المعرفة ، ولا يلجأ للأحكام المسبقة ، ولا يفرض على الناس شيئا ، ولم يكن أنانيا ويقول بأنه ناقل ما تعلمه ، ولم يطمع يوما بأن يحصل على منصب في الحكومة إن كانت هذه الحكومة ظالمة ، وكل ما يقوله يجسده في أعماله .

ويرى كونفوشيوس أن كل إنسان يملك حق التعلم سواء كان غنيا أو فقيرا ، فهو يعتقد أن التلاميذ هم الذين بإمكانهم خدمة جميع الناس و العلم هو الذي يصنع الأماجد ، تصرفهم كالنبلاء من خلق و حكمة وفضيلة و ليس بنباله المولد، فبفضل التعليم تتحقق سعادة الناس كما ركز على دور الإرادة و الصبر في التعلم و الرغبة في البحث عن الأمور واتباع الصواب و تجنب الخطأ.<sup>3</sup> فمن خلال النبيل و الامتياز يمكن للفرد أن يكتسبها عن طريق التربية، و هكذا يصبح الإنسان نبيلًا بالتأديب، إضافة إلى بعض المؤهلات كالطيبة و الحكمة و الشجاعة ، فهذه الصفات تمنح الإنسان الراحة "أن من هو طيب حقاً، لن يكون تعيساً".<sup>4</sup> فتلاميذه كانوا من أرقى الطبقات و من أحطها و يمكن لأي فرد أن يصبح نبيلاً دون النظر إلى أصله و عرقه ، فهو يريد أن يجعل تلاميذه نبلاء . كما لم يهتم بالمكانة التي

<sup>1</sup> أول وايرلديورانت ، قصة الحضارة ، الصين الشرق الاقصى ، ج4 ، م1 ، ت : محمد بدران ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، ص 44 .

<sup>2</sup> صلاح رسلان بسيوني ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص94\_95.

<sup>3</sup> عمر عبد الحي ، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1971 ، ص160\_161.

<sup>4</sup> ميرسيا الياد ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ج2 ، ت: عبد الهادي عباس، ط1 ، دار دمشق ، الشام ، ص25.

ينتمي لها التلميذ في مجال التربية وقد قبل تلاميذه من كل الطبقات، ولا يرفض أي شخص بل يقبل كل من يريد أن يتعلم يقول كونفوشيوس: "إنني لم أرفض قط أن أعلم أي شخص حتى لو جاءني مشيا على الأقدام دون أن يقدم شيئا نظير تعليمه ، أكثر من حزمة اللحم المجفف."<sup>1</sup>

لقد رفض كونفوشيوس التفرقة الطبقية في تعليمه حيث ساوى بين الناس في ذلك ، فالتعليم ليس حكرا على طبقة دون الأخرى ، بل كان كل من يرغب بالالتحاق وله الإرادة يمكنه أن يكون تلميذا عنده . فالعلم هو الذي يجعل الإنسان نبيلًا وليس نبلا بالولادة ، كما أنه لم يضع مقابلا لتدريسه . فبفضل التعليم يكتسب الفرد جملة من الصفات النبيلة التي تحقق له سعادته كما تدله على طريق الصواب . ولعل أهم شرط وضعه كونفوشيوس لمن يريد أن يكون تلميذا عنده ولا يمكن التنازل عنه هو أن يكون طلب العلم نابعا من رغبة داخلية ، يقول كونفوشيوس : "أنا لم أرفض أن أعلم أي فرد جاءني طوعا." وبضيف قائلا : "أنا لن أهدي أي فرد لم يحاول الاندفاع نحو الحيرة من أجل فهم ما هو الصعب ، أو هذا الشخص الذي لم ينال الجنون ليعبر عن أفكاره في نسق من الكلمات المحكمة." كما يجب أن يكون لطالب العلم القدرة على التفكير والذكاء والادراك ، فليس هناك شيء أستطيع فعله مع الرجل الذي لا يقول لنفسه دائما: "ماذا علي أن أفعل"<sup>2</sup> فهو لم يجبر أحدا على التعلم فكل من يرغب بالالتحاق بمدرسته لا يرفضه ، ولا يمكن أن يرغمهم على ذلك ، حيث يكون بإرادة الفرد ورغبته ، كما كان يحبذ الأفراد الممتازون بالذكاء .

يقول كونفوشيوس : "القراءة بغير تحليل وفهم وإرباك للذهن بلا طائل والفكر المجرد بغير قراءة هو عين الهلاك."<sup>3</sup> فالتربية ليست كتابة فما يهمننا ليس المعرفة النظرية التي تكون قيمتها في ذاتها ، حتى وإن كانت ذات توجه عملي ، بل ما يهمننا هو أن نعرف كيف؟ أكثر

<sup>1</sup> \_ ه . ج . كريل ، الفكر الصيني من كونفوشيوس الى ماوتسيتونج ، مرجع سابق ، ص 48.

<sup>2</sup> \_ هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص 112\_113.

<sup>3</sup> \_ كونفوشيوس ، الكتب الاربعة المقدسة ، مصدر سابق ، ص 31.

من أن نعرف أين؟ فأفضل معرفة تكون في تنمية الكفاءة ، أكثر من اكتساب مضمون فكري يقول المعلم (مالك المعرفة أنا؟ لا أبدا يأتيني الرجل الأكثر بساطة ليسألني فأشعر كما لو أنني لا أعرف شيئا أبذل عندها أقصى ما يمكن من جهد الأصل إلى عمق السؤال دون أن أرخي طرفيه).<sup>1</sup> فمن خلال التربية تنمي معارف الفرد من خلال توجيه هذه المعارف إلى الحياة العملية ، كما أنها تساعد على تطوير ما يكتسبه الفرد من خلال النظر في المواضيع بصورة دقيقة والاهتمام بتفاصيلها ، ويدعو إلى أن لا تكون القراءة سطحية بل يجب أن تكون قراءة بتمعن من خلال تشغيل الذهن في البحث.

فقد طالب كونفوشيوس تلاميذه بالتحلي بفضيلة التواضع وعدم التكبر ، " فالغرور قد يؤدي بالفرد إلى تدمير نفسه ، أما التواضع فإنه يمنح الفرد مزيدا من سماحة الخلق والرغبة الدائمة في العلم والمعرفة ."<sup>2</sup> كما انتقد حالة التعليم التي اعتمدها المدرسون من خلال تكرارهم ما تم تدريسه والإقبال على الطلبة بالأسئلة ، كما لم يهتموا بميول تلاميذهم وتوجهاتهم الملائمة لقدراتهم . وهذا ما أدى إلى تخصصهم فيما لا يناسب كفاءتهم ، وبهذا تنتشر الكراهية بين التلاميذ والمعلمين ، كما يعتمد الطلبة على الحفظ دون الفهم وهذا ما تسبب في كرههم للتعلم ومن هنا أصبح التعليم فاشلا .<sup>3</sup> فعلى المعلم أن يراعي رغبة التلميذ في اختيار التخصص الذي يميل إليه وله القدرة على تعلمه ، ويرى كونفوشيوس أن سبب فشل التعليم راجع لإرغام التلميذ على ما لا يحب أن يتعلمه . حيث وضع كونفوشيوس قواعد على المعلم أن يتبعها وهي : منع الطالب من اكتساب العادات القبيحة ، وإعطاء المعلومات في السن الملائمة والتدرج فيها ، وأن يكون الطلبة مجتمعين لاكتساب المعلومة ، ومراقبة أصحاب الطالب لمنعه من مصاحبة السيئين ، كما يتأكد من قضاء الطالب لوقته في أمور تعود عليه

<sup>1</sup> أن شانغ ، تاريخ الفكر الصيني ، ت : محمد حمود ، ط1 ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2012 ، ص72\_73.

<sup>2</sup> هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص116.

<sup>3</sup> صلاح رسلان بسيوني ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص102.

بالفائدة.<sup>1</sup> فواجب المعلم أن يراعي التلميذ من جميع النواحي وقت التعلم وخارجه من خلال اطلاعه على المعلومات التي بإمكانه استيعابها ، كما يتأكد من صحبته لأشخاص طيبين ، وحثه على استغلال وقته فيما ينفعه . و على المتعلم أن يلتزم بقيم وضوابط لتكون عملية تعلمه كاملة ، فالرجل الحكيم لا يهتم بمظاهر الحياة المادية واهتمامه بالمناصب راجع لاعتقاده بأن هذا المنصب سيكون وسيلة لإصلاح المجتمع إن لم يحصل على هذا المنصب فلا يعتبره عائقا ، فقيمة الفرد لا تستمد من السلطة بل من الذات . فكل اهتمامه ينصب على القيم والمبادئ .<sup>2</sup>

فالتربية والتعليم عند كونفوشيوس " لا تتولى تطوير أحد جوانب الشخصية دون الأخرى، بل تسعى الى أن تخلق شخصية متكاملة متجانسة لديها قدر كبير من الاتزان والاعتدال . وفي الوقت الذي يتعلم فيه الفرد كيف يطور ذاته فلا بد أن يتعلم واجباته نحو الآخرين ، مكتسبا القيم الاجتماعية التي تظهر في معاملته مع الآخرين سواء داخل الأسرة أو خارجها ."<sup>3</sup> فالتربية تمكن الفرد من تعلم السلوك الحسن داخل المجتمع وخارجه ، وبهذا تصبح معاملته حسنة معهم ويصبح سلوكه معتدلا .

إذ استبعد من برامجه الدراسية" الموضوعات المتصلة بتمجيد البطولة الجسمانية والأعاجيب والثورات الطبيعية ، والظاهر أنه لم يكن يعترض على تلاميذه في قيامهم بالطقوس والرسوم الدينية التي كانت سائدة في عهده ، ولكنه مع ذلك كان يتحاشى الدخول في مناقشات تتصل بالكائنات غير المتورطة ومن القواعد التربوية التي أتبعها أنه كان يهتم كثيرا بأن يكون على اتصال شخصي دائم بتلاميذه ليتعرف على أحوالهم الشخصية وما قد يعترضهم من صعاب وأزمات نفسية فيعمل و ياهم على حلها بميزات الحكمة والاعتدال ."<sup>4</sup> فانطلاق كونفوشيوس

<sup>1</sup> \_صلاح رسلان بسيوني ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص104.

<sup>2</sup> \_هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص115.

<sup>3</sup> \_مرجع نفسه ، ص116.

<sup>4</sup> \_ أحمد الشنتتاوي الحكماء الثلاث ، مرجع سابق ، ص129.



في تعليمه من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه تلاميذه ، بهدف مساعدتهم في حل المشاكل التي يمكن أن تواجههم في حياتهم اليومية . كما يعتبر أن الشعر والموسيقى يساعدان العقل على التركيز في العمل وتهذيب النفس ، فقد " أوصى كونفوشيوس بتعلم الشعر ومعرفة الطقوس و الشعائر المختلفة و الموسيقى و النبالة ، فهو يعتقد أن الشعر يدفع الفرد إلى تحقيق ما قد لا يبني آمالاً عريضة قد لا تتحقق في عالم الواقع ، أما مراعاة الطقوس و الشعائر فتربي في النفس ملكة الانتباه إلى تفاصيل الأمور ودقائقها ، أما أهمية الموسيقى في تهذيب النفس فإنها تؤدي بالعقل إلى الأفكار السامية، فالموسيقى في نظره تساعد على تركيز عقله في العمل الذي يقوم به ."<sup>1</sup>

المبحث الثالث : الفضائل الأخلاقية في فكر كونفوشيوس

---

<sup>1</sup> \_ مرجع نفسه ، ص 141.

تعتبر الأخلاق أهم ما شغل تفكير كونفوشيوس حيث قسم الأخلاق إلى أخلاق فردية وأخلاق اجتماعية فالأولى تشكل الثانية ، ويرى أن الناس يتمايزون فيما بينهم فيزيولوجيا وخلقيا ، وهذا التمايز يرجع للتربية التي من خلالها يمكن تشكل الشخصية الأساسية وهذا ما جعل كونفوشيوس يضع نظرية اجتماعية سياسية في الأخلاق .<sup>1</sup>

حيث كان نسق كونفوشيوس الأخلاقي ذا جانبين :

**جانب نظري :** ويتضمن ماهية الفرد الذي هو الأساس والنواة للأسرة والمجتمع ويشعر خلال هذا الجانب بأن يعيد الفرد إلى جوهره الحق ولى فطرته الإنسانية وهذا ما يؤهله لتهديب ذاته .

**جانب عملي :** ويمثل القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تجد الفرد لزاما عليه اقتناءها طبقا لمهيتها التي تم ادر اكها في المرحلة الأولى ، و ينطلق إلى تطبيقها في علاقته مع الآخرين ، داخل علاقات الفرد المختلفة من أجل الوصول إلى الرجل الفاضل الذي يعد محور فلسفته السياسية .<sup>2</sup>

يقول كونفوشيوس : إن القدامى الذين أرادوا أن ينشروا أرقى الفضائل في أنحاء الامبراطورية قد بدأوا بتنظيم ولاياتهم أحسن تنظيم ، ولما أرادوا أن يحسنوا تنظيم ولاياتهم بدأوا بتنظيم أسرهم ولما بدأوا بتنظيم أسرهم بدأوا بتهديب أنفسهم فلما أرادوا تهذيب أنفسهم بدأوا بتطهير قلوبهم و لما أرادوا تطهير قلوبهم ، عملوا أولا على أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم و لما أرادوا أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم بدأوا بتوسيع دائرة معارفهم إلى أبعد حد مستطاع و هذا التوسع في المعارف لا يكون إلا بالبحث عن حقائق الأشياء ."<sup>3</sup>

### 1\_ فضيلة الإنسانية (الجين) :

<sup>1</sup> \_ محمد سليمان حسن ، تيارات الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق، ص66.

<sup>2</sup> \_ هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص59.

<sup>3</sup> \_ المرجع نفسه، ص 66.

تعددت ترجمة كلمة الجين\* فهي تحمل عدة ترجمات تمثلت في الفضيلة الإنسانية ، الإحسان ، الرجولة ، الطابع الأخلاقي ، الحب .

يرى كونفوشيوس أن ما يجعل البشر إنسانيين هو الجين أو طبيعة القلب، وهي ما تعلق بالشعور و التفكير و من خلاله تبنى العلاقات الإنسانية فالجين هو حب البشر و هذا الحب يجب أن يتبع أساس أخلاقي ، يقول كونفوشيوس : (يرغب كل إنسان في الثروة و الشرف ، لكن إذا تم تحقيقهما عن طريق مخالف لمبادئ الأخلاق فإنه لا ينبغي الإبقاء عليهما ، و يكره كل إنسان الفقر و تواضع المرتبة ولكن إذا لم يكن بالإمكان تجنبهما إلا بمخالفة المبادئ الأخلاقية فإنه لا ينبغي تجنبهما )<sup>1</sup>. وكان كونفوشيوس أول من تساءل عن طبيعة الإنسان هينج ، حيث أجاب قائلاً : ط إن الناس سواسية خيرين بطبيعتهم ولكنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الآخر تدريجياً وفق ما يكتسبون من عادات ، و أن الطبيعة البشرية مستقيمة و إذا ما افتقد الإنسان هذه الاستقامة افتقد معنى السعادة ". و تصور كونفوشيوس للطبيعة الإنسانية الخيرة و التوحيد بين حياة الاستقامة و السعادة شبيه بتعاليم سقراط و أفلاطون<sup>2</sup>.

فالجين هي إنسانية البشر المتعلقة بما يحدث داخل الفرد من شعور و تفكير ، والخير من طبيعة البشر لكن مع كبرهم يكتسبون عادات جديدة مختلفة : قد تكون مخالفة لمبادئهم التي فطروا عليها ولا يمكن أن تكون ضمن عاداتهم ، فالجين هي التي تمنعهم من اكتسابها و تعيدهم إلى الطريق الصحيح وبذلك يكون قد حصل على سعادته .

وقد كتب الفيلسوف الانجليزي صموئيل جونز عن الطبيعة الإنسانية : " لا يحلل الإنسان كما نراه من الأسفل و إنما كما نراه من الأعلى انطلاقاً ليس من واقعه اللفظ و إنما من الوعي

\*الجين : الإنسانية ، الخير ، قد تشمل معنى الحنان أو معنى السجبة ، تتميز بها بعض العشائر الأرستقراطية وفي النصوص الكونفوشيوسية تشير الى كل المثال الأخلاقي الشامل . (تدهوندرنش ، دليل اكسفورد للفلسفة ، ج 2 ، ت : نجيب الحصادي ، (د ط) ، المكتب الوطني للبحث و التطوير ، (د ت) ، ص 794).

<sup>1</sup> \_ جمال المرزوقي ، الفكر الشرقي و بدايات التأمل الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 294.

<sup>2</sup> \_ مصطفى النشار ، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي مرجع سابق ، ص 4.

الموجود فيه إنه لا يصف الطبيعة الإنسانية تجلياتها الخارجية وإنما بموجب قوانينها الأساسية ومكانياتها".<sup>1</sup> "تفضيلة الإنسانية تكمن في باطن الإنسان وليس ما نراه ، فالإنسان بفطرته طيب لكنك ما هو خارجي عنه هو الذي يجعله شريرا .

ويتصف الجين بصفات الإنسانية الأخلاقية كالحكمة والعدالة والتقوى والشجاعة والعطف والكرامة والرحمة والصدق والنقاء لهذا دعا كونفوشيوس أتباعه إلى التحلي بهذه الصفات الأخلاقية وجعلها عادة يومية لكي ينتشر الانسجام في المجتمع .<sup>2</sup> كما لها أهمية كبيرة في حياة الفرد ومن دونها تصبح الحياة بلا معنى ولا ينبغي للإنسان أن يعيشها ، ومن يتصف بالحكمة هو الذي لا يفعل شيئا يضر به طبيعته الإنسانية وهنا يقول كونفوشيوس: " إن المثقف الحازم رجل الإنسانية (الجين) لا يسعى للحياة على حساب الإضرار بالإنسانية (الجين) وهو يؤثر التضحية بحياته لكي يحقق الإنسانية ( الجين )".<sup>3</sup> فدعوة كونفوشيوس لأتباعه بالتحلي بصفات الجين الأخلاقية التي تساعدهم على عيش حياة سعيدة ، فالجين هي ما تجعل الفرد إنسانيا ، وبفقدانها تصبح إنسانيته بلا جدوى وعليه أن يحققها حتى وإن اضطر إلى أن يتخلى عن حياته في سبيل تحقيقها . إذ يمكن طريق الإنسانية في أعماق كل مخلوق بشري ويكمن ادراكه في حياة المرء الشخصية والعيش وفق نهج الجين يقتضي تطوير طيبة قلب المرء الإنسانية ومدى نطاق هذه الطيبة المطورة إلى الآخرين وبهذا وضع كونفوشيوس قاعدة أساسها تمثل في مقولته (عامل الآخرين بما تحب أن يعاملوك به أو لا تفعل بالآخرين ما لا تريد أن يفعلوه بك).<sup>4</sup>

فالطيبة هي حالة من الاتزان من خلال القيام بما تفرضه عليك مكانتك الاجتماعية بأهدافها وواجباتها .وهي مغروسة في الاخلاص ولا يمكن للسلوك مهما يبلغ من صحته من الناحية

<sup>1</sup> \_ ه فان براج ، حكمة الصين ، ت : موفق المشنوق ، ط 1 ، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1998 ، ص134.

<sup>2</sup> \_ صلاح رسلان بسيوني ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص129.

<sup>3</sup> \_ جمال المرزوقي، الفكر الشرقي وبدايات التأمل الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 249.

<sup>4</sup> \_ جون كولر ، الفكر الشرقي القديم ، مرجع سابق ، ص 336\_337

الاجتماعية إن هو تحت ضغط اجتماعي أن يتجه نحو الاتزان وينبغي أن تعالج المؤثرات الخارجية فالمرء ينبغي له أن يلزم الطيبة ولا يجب أن تكون مشاعر المحبة أو العداة هي دوافع السلوك.<sup>1</sup> "أفحياة أي فرد لا تخلو من الجين بصفات المتعددة كالطيبة التي تفرض على الإنسان كيف يتصرف إزاء المواقف التي تعترضه في حياته ، فهي متأصلة في قلبه ، حيثلا يمكن الاستغناء عن فضيلة الإنسانية فهي أساس الفضائل الأخرى ، إذ أنها تؤكد على ضرورة أن يعامل الفرد الآخرين انطلاقا مما يكمن بداخله من مشاعر الإنسانية،" الرجل الخير دائما شغوف بالخيرية لأنه يشعر خلال ممارسته لها و كأنه في موطنه، فالجين تربط ذات الإنسانية مع الآخر و تحدد كيفية التعامل مع الكائنات البشرية وفقا النموذج السلوك المثالي.<sup>2</sup> "فضيلة الإنسانية مبدأ أخلاقي من خلاله يمكن الحكم على سلوك الفرد النابع من باطنه و تحدد علاقات الإنسانية التي تجمعها مع الآخرين.

يقول كونفوشيوس : " إذا صار قلب الرجل خلوا من الإنسانية فما النفع من تمسكه بقواعد المعاملات الكريمة ؟ إذا فرغ قلب امرئ من معنى الإنسانية فلن يكون لشيء في حياته معنى حتى و إن ملأ الدنيا كلا ما و خطبا و مواعظ حول المعاني الراقية الجميلة . و يضيف قائلا : " إذا فرغ قلب الرجل من الإنسانية ، فلا الفقر يزجره و لا الغنى ينفعه فهو في الأولى مارق جاحد وفي الثانية مسرف باذخ . فمن عمر قلبه بالرحمة توطدت فيأعماقه توازع الخير، واعلم أن العاقل من ابتغى إلى التراحم سبيلا ، يجني به نفعا . إن لم يكن غاية تحسن بها صفاته وتكمل بها أخلاقه.<sup>3</sup>

من القولين السابقين يدعو كونفوشيوس إلى أن لا يخلو قلب الفرد من الإنسانية ، فأخلاقه لا تكتمل لإبوجودها وإن انعدمت تصبح حياته بلا معنى .

<sup>1</sup> آليان ج ويدجري ، التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس الى توينبي ، ج1 ، ت : عبد العزيز توفيق جاويد ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ( د ت ) ، ص43\_44

<sup>2</sup> زروق زينيه وآخرون ، الفلسفة الأخلاقية ، مرجع سابق ، ص47.

<sup>3</sup> كونفوشيوس ، الكتب الاربعة المقدسة ، مصدر سابق ، ص35،36\_43.

## 2\_ فضيلة طاعة الأبناء للآباء (هسيان):

تعتبر الأسرة عند الصينيين بمثابة القاعدة والأساس وملجأ الفرد في مواجهة الحياة ، فالأسرة تتضمن حالة الفرد الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وهكذا يمكن أن تتشكل مجموعة تتكاثر فيما بينها . فهي سند للإنسان يحصل فيها على المساعدة ومن دونها لا يعرف سعادته فسعادته لا تتواجد إلا في الأسرة .<sup>1</sup> فالأسرة هي أول منشأ للطفل يكتسب فيه كل ما يتعلق بهذه الحياة فبفضلها يتعلم الطفل الآداب والأخلاق . وبهذا أكد كونفوشيوس على أهمية العائلة في تطوير الجين . فضيلة الولاء البنوي تتم أولاً من خلال توقير الأبوين فبفضلهما تولدت الحياة ، وهذا التوقير يكون من خلال الحفاظ على الجسم لأن الجسم من الأبوين . كما يكون سلوك الطفل سلوكاً حسناً ليشرف به والديه ، وأن يبتعد عن كل ما يجلب لهما الخزي ، وبهذا تنتقل هذه الفضيلة إلى خارج الأسرة ، فالحب الذي تعلمه الطفل تجاه والديه وإخوته يتطور إلى حب الإنسانية جمعاء ويتصرف وفقاً لإنسانيته .<sup>2</sup>

حيث تدعم الأسرة الفرد في حياته وبدونها يكون ناقصاً ، وهي منبت الأخلاق وبفضلها يتم تكوين الفرد أخلاقياً ، كما يتعلم داخلها مجموعة من الآداب والقواعد الأخلاقية التي يحتاجها في حياته ، لذا أكد كونفوشيوس على أهميتها في تطوير الجين . وتعتبر (هسيان) فضيلة توقير العائلة واحترامها ، بدءاً بالوالدين من خلال طاعتها وجلب الفخر والعز لهما وذلك بالسلوك الحسن داخل الأسرة وخارجها.<sup>3</sup> فالولاء البنوي يعني خدمة الوالدين أثناء حياتهما ، وهكذا تكتمل العلاقات الخمس لتعاليم كونفوشيوس وهي علاقة الأمير بالرعية ، وعلاقة الابن بأبيه والأخ الأكبر بأخيه الأصغر ، وعلاقة الزوج بزوجه ، وعلاقة الصديق بصديقه

<sup>1</sup> \_ وو بن ، الصينيون المعاصرون، ج 1 ، ت: عبد العزيز حمدي، (د ط)، عالم المعرفة ، الكويت ، 1996 ، ص 96.

<sup>2</sup> \_ جمال المرزوقي، الفكر الشرقي وبدايات التأمل الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 251.

<sup>3</sup> \_ جون كولر ، الفكر الشرقي القديم ، مرجع سابق ، ص 340.

، واحترام الابن لأبيه.<sup>1</sup> ولعل أساس فضيلة الطاعة هو الاحترام المتبادل داخل الأسرة وخارجها .

إذ دعا كونفوشيوس إلى فضيلة الطاعة ، باعتبارها مرجعا أساسيا من خلاله يتم التناسق بين أفراد الأسرة الواحدة وانعكاسها على كافة المجتمع . لذا نجد أن النظام الأبوي القائم على العاطفة والرابطة الدموية يحكمه الواجب والالتزام المطلق " لكي يبلغ الإنسان حالة التفوق يجب عليه مراعاة خياو بر الوالدين ، وهذه الفضيلة تستمر حتى بعد وفاة الوالدين ، إن الطاعة هي الفضيلة الأساسية في الحفاظ على الولاء السياسي الذي هو في المقام الأول ولاء عائلي.<sup>2</sup> فنظام الأسرة يقوم على رابطة الدم والعاطفة وفضيلة الطاعة التي تجمع أفرادها، حيث لفضيلة الطاعة دور هام ، فهي التي توحد بين أفراد الأسرة الواحدة ، ويتجلى أثرها على المجتمع في تماسكه . كما وضع كونفوشيوس عدة آراء في كيفية التعامل مع الآباء فيجب علينا طاعتهم منذ الصغر الاعتناء بهم عند الكبر، يقول : " يمكن للابن و هو يخدم والديه أن يحتج عليهما ، لكن بلطف و عندما يرى أنهما لا يميلان للأخذ بنصيحته ، عليه أن يظهر مزيدا من التوقير ، وإذا قرر معاقبته ينبغي أن لا يسمح لنفسه بالتذمر، ويضيف قائلاً : "أنه ينبغي أن لا نسافر بعيدا ووالدينا على قيد الحياة ويجب أن نغطي على جرائمهما."<sup>3</sup> وتستمر فضيلة طاعة الأبناء للآباء أثناء حياتهما وبعد موتهما ، فليس لها وقت بل تتميز بالاستمرارية حتى بعد الموت . فهي تتضمن طاعة الوالدين باحترامهما وتحملهما عند الكبر وتذكرهما بعد الموت ، ومنحهم العناية التي يستحقونها ورعاية مشاعرهما .

ويعتبر بر الوالدين هو تجيل سلطة الأب و طاعته ، فرغبة الأب هي أساس سير الأسرة ، لذا فالأب في الحياة ينظر إلى إرادته وبعد وفاته ينظر إلى أعماله وعدم تغيير طريق الأب

<sup>1</sup> \_ جفري بارندر ،المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، مرجع سابق ، ص242.

<sup>2</sup> \_ زروق زينية وآخرون ، الفلسفة الأخلاقية ، مرجع سابق ، ص48.

<sup>3</sup> \_ دون مؤلف، فلاسفة الشرق والغرب ، ت : محمد عبد العاطي عبد الخير، (د ط) ، (د ت) ، ص24.

لمدة ثلاث سنوات وهو بالضبط بر الوالدين .<sup>1</sup>فأساس بر الوالدين يكمن في طاعتها و توقيرهما من خلال الامتثال لأقوالهم كما يلتزم بما يطلب منه ، و أن يكون سلوكه كما ربياه و لا يعصي أوامرهما حتى بعد موته لا يجب أن يخرج على ما ربياه بل تبقى تربيتهما مستمرة .

ولعل الاتجاه الاجتماعي الذي رفع لوائه كان اتجاهاً أوبياً وليس اتجاهاً ينطوي على العدالة الديمقراطية " فالجنتلمان يعين المعوزين ، هو لا يزيد العني غنا وفي معاملة المسنين ينبغي أن يكون المرء منا مصدر الرعاية والراحة لهم وينبغي أن يكون المرء منا وفياً لأصدقائه ، وأن يدلل الصغار ."<sup>2</sup>والابن المثالي هو " الذي يقدم الطاعة لوالديه ويلتزم بمبادئهم الصحيحة و إذا أقام فترة الحداد المطلوبة والتمسك بطريقهم استحق أن يدعى ابناً مثالياً ، فالابن يلتزم بالحداد فترة ثلاث سنوات ، ينقطع خلالها على كل المتع والملذات وكل ما عليه هو أن يلتزم بطريقهم ويعمل جاهداً على إحياء ذكراهم ."<sup>3</sup>

من خلال ما سبق فإن الطاعة الأبوية واجبة على كل ابن، فعلى كل ابن أن يوقرها في حياتها، ويقدم لهم كل الاحترام والتقدير . وبعد وفاتها يجب أن لا يقطع طاعته لهما من خلال تقديم القرابين وإحياء الطقوس التي يلتزم بها . يقول كونفوشيوس : " إن صار الناس يظنون أن بر الوالدين يعني اطعامهما بما لذ وطاب ، لكن المخلوقات الأليفة تجد أيضاً من يطعمها ويسقيها بأفخر وأبهى الطعام والشراب . إذ أن الأكرام بغير احترام لا يختلف كثيراً عن اقتناء القطط والحياد " ويضيف قائلاً " على الشاب أن يهتدي بإرشادات أبيه الذي على قيد الحياة ، فإن توفي الأب فلينهج الولد سيرته ، فمن بقي يسلك سلوك أبيه في الحياة ويترسم آثاره من بعده ، استحق أن يعد الابن البار المطيع ."<sup>4</sup> فالطاعة لا تعني الاهتمام

<sup>1</sup> وو بن ، الصينيون المعاصرون ، مرجع سابق ، ص 99\_100 .

<sup>2</sup> \_ آليان ج ويدجري ، التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس الى توينبي ، مرجع سابق ، ص 45 .

<sup>3</sup> \_ هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص 92 .

<sup>4</sup> \_ كونفوشيوس ، الكتب الاربعة المقدسة ، مصدر سابق ، ص 27 ، 30 .



بهما من ناحية المأكل والمشرب ، بل تقوم على الاحترام وهو أساسي في علاقة الابن بأبيه ، فطاعة الوالدين من غير احترام لا معنى لها . لذا فاحترام الابوين واجب على كل ابن تجاههما ، إضافة الى الاقتداء بهما فيما يقوم به من أفعال وأقوال وأن يسير وفق طريقهما حتى بعد وفاتهما .

### 3\_فضيلة الاستقامة أو الحق (بي):

الاستقامة بي\*ليست "صفة أخلاقية بعيدة عن جوهر الطبيعة البشرية، وإنما هي من السمات الأساسية لها، حيث إنها تعد من القيم التي تسعى الطبيعة الانسانية الى احرازها اثناء عملية التطور الاخلاقي ، وهي فضيلة تدفع الفرد الى الالتزام فقط بكل ما هو حق ومستقيم".<sup>1</sup> فالاستقامة سمة أساسية للطبيعة البشرية، فهي تجعل الفرد يلتزم بكل ما هو حق ومستقيم كما أنها قوة أخلاقية هامة تقوم بالحكم على الأشياء ومدى اقترابها من الحق أو بعدها عنه . حيث أكد كونفوشيوس على فضيلة الاستقامة باعتبارها ضرورية لتطوير الجين، إذ يقول: "إن الاستقامة تدلنا على الطريق الصحيح للتعرف في مواقف بحيث إننا نكون على توافق مع الجين، وهكذا فإن الاستقامة هي الاستعداد الأخلاقي للقيام بالسلوك ، والقدرة على ادراك ما هو في آن معا . وهي كقدرة تعمل كنوع من الحس أو الحدس الاخلاقي".<sup>2</sup> فعند تعرض الإنسان لمواقف في حياته تتدخل فضيلة الإنسانية في تحديد ما هو صائب لاتباعه و ما هو خاطئ لتجنبه ، ذلك قبل قيامه بأي تصرف من خلال التفكير. إذ تتعارض الاستقامة مع رغبات الفرد وشهوته ، فعندما لا يتمكن الإنسان من تحقيقها تجعله كثير القلق مما يؤدي به للابتعاد عن كل ما هو مستقيم لإشباع رغباته.<sup>3</sup> فهي تهدي الفرد إلى تجنب كل ما هو صائب ، وتبعده عن الشهوات التي تتعارض مع مبادئه ، وتمنحه الراحة في حياته .فضيلة

\*بي: الحقيقة ، الواجب ، وهي الطريق السليم للسلوك ، ليست محددة من قبل قواعد سلوكية ثابتة بل تتطلب تقييما مناسباً

للاعتبارات المتعلقة في أي سياق للفعل ( تدهوندرنش ، دليل اكسفورد للفلسفة ، مرجع سابق ، ص 795 )

<sup>1</sup> \_هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص 85.

<sup>2</sup> \_ جمال المرزوقي، الفكر الشرقي وبدايات التأمل الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 151 \_ 152.

<sup>3</sup> \_ جمال المرزوقي، الفكر الشرقي وبدايات التأمل الفلسفي مرجع سابق ، ص 85 ، 87.

الاستقامة أو الحق من لوازم تكوين الرجل الفاضل ، حيث ترتبط بمعيار الحكم على الأشياء ببصيرة العقل . "ولرجل الفاضل لا يوافق أي فعل أو قول وفقاً للرغبة أو الهوى وإنما لأنه لا يتفق مع مبدأ الاستقامة ، والاستقامة تعني الاعتدال والانسجام وهي ضد الخداع وتظاهر الفرد بما ليس فيه من صفات . وهي توازن نفسي يتطلب اتفاق ظاهر الفرد مع باطنه " .<sup>1</sup> يقول كونفوشيوس : "ينظر للرجل الأسمى إلى الاستقامة يي باعتبارها جوهر كل شيء ، وهو يلتزم بها حسب مبدأ آداب المجتمع ويبرزها في تواضع ويمضي بها إلى نهايتها في إخلاص ، إنه حقا الرجل الأسمى " .<sup>2</sup> فالإنسان لا يقوم بأي فعل دون أن يلجأ إلى فضيلة الاستقامة يي ، فهي تدله على السلوك الحسن ويكون بعيدا عن النفاق ، وهي سلوك ظاهر ليترجم ما يوجد في باطن الإنسان .

#### 4\_ قواعد اللياقة وآداب المجتمع(لي) :

أدخل كونفوشيوس مبدأ لي\* إلى الحضارة الصينية ، حيث الأمر لا يتعلق بمظاهر السلوك الخارجي . حيث يرى كونفوشيوس أن(لي) يكون من القلب وترجمها بالأدب واللباقة والتهذيب، وتصدر من الاستعدادات الداخلية وتظهر في سلوك الفرد الخارجي يقول كونفوشيوس : "لا تتظر لشيء لا يكون ليا ، لا تضع أي شيء لا يكون ليا ، ولا تقول أي شيء لا يكون ليا ، لا تقوم بأي حركة لا تكون ليا " .<sup>3</sup>

ال (لي) أو آداب المجتمع هي المبدأ العام للنظام الاجتماعي، وهي الطقوس والاحتفالات تركز على الممارسات الأخلاقية والعلاقات الاجتماعية كما يحمل جملة المواقف التي

<sup>1</sup> زروق زينيه وآخرون ، الفلسفة الأخلاقية ، مرجع سابق ، ص49.

<sup>2</sup> جون كولر ، الفكر الشرقي القديم ، مرجع سابق ، ص341.

\*لي : طقوس، شعائر ، قرابين ، تشير في أصلها إلى طقوس القرابين ثم أصبحت تشير إلى كل القوانين التي تحكم السلوك الاحتفالي والمسؤوليات التي تعزى إلى المرء بسبب وضعه الاجتماعي ( تدهوندرنش ، دليل اكسفورد للفلسفة ، مرجع سابق ، ص794).

<sup>3</sup> \_ ه فان براج ، حكمة الصين مرجع سابق ، ص109.

ينتهجها الإنسان تجاه الآخرين ، سواء مع الآباء أو الأبناء أو بين الإخوة أو بين الأصدقاء وبين الرعايا والحكام ، فهي تعني الانضباط الأخلاقي في السلوك الشخصي والآداب العامة في كل شيء ، وقواعد ال لي تحمل محل القانون المكتوب وتكون ايجابية وخالية من أي عقاب .<sup>1</sup>

من خلال ما سبق فال (لي) هي مجموعة من الآداب والطقوس المتعارف عليها ، التي يقوم بها الفرد داخل الأسرة من خلالها يتم تنظيم المجتمع تكون نابعة من باطنه وتظهر في سلوك الأفراد مع جميع الناس ، بفضلها يصبح سلوك الفرد سلوكا أخلاقيا .

إن ال (لي) مجموعة من القواعد التي تحكم العادات والمراسيم ، تم الاعتراف بها من خلال ممارسة الناس لها في حياتهم اليومية وممارسة هذه القواعد تتمثل في تجسيد الجين . يقول كونفوشيوس : " أن يسيطر المرء على نفسه وأن يعود إلى آداب المجتمع لي تلك هي الإنسانية (الجين) ، وهذه السيطرة تنمي النفس وتبعدها عن أنانيتها وتغرس فيها الإخلاص والاستقامة<sup>2</sup>." فالطقوس تعلم الفرد الانضباط داخل الأسرة أو خارجها ، والغاية القصوى من الطقوس هو الانسجام واحداث التوازن الداخلي للفرد . إن تمكن الإنسان لمدة يوم واحد أن يتعود على التمسك بالطقوس خلال قهر الذات ، فإن الامبراطورية كلها سوف تتجه نحو الخيرية .<sup>3</sup> فالفرد مندمج في مجتمعه ولا يمكن أن يعيش بمعزل عنه ، يتعلم فيه جملة من الآداب لكي يطبقها داخل الأسرة وخارجها ، ومن خلال هذه الآداب تبتعد النفس عن أنانيتها ويصبح هدفها نشر الخير. وبفضل ال لي "يصبح الانسان انسانا ممتلئا بالقيم و مميذا عن الحيوانات الضارية ، وهذا النظام الكونفوشيوسي لقواعد السلوك وآداب اللياقة ليعود الناس أنفسهم على حب النظام والطاعة"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> جمال المرزوقي، الفكر الشرقي وبدايات التأمل الفلسفي ، مرجع سابق ، ص250.

<sup>2</sup> جون كولر ، الفكر الشرقي القديم ، مرجع سابق ، ص337.

<sup>3</sup> زروق زينيه وآخرون ، الفلسفة الأخلاقية ، مرجع سابق ، ص49.

<sup>4</sup> صلاح رسلان بسيوني ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص124.

كما أصر كونفوشيوس على أداء الشعائر التقليدية وهي الأخلاق المؤدية للراحة والانسجام في علاقات الناس بعضهم بعضا ومناسك الأسلاف ولعل الصنف الأول هو شعائر الحياة المهذبة لأعضاء الطبقات العليا والصنف الثاني في صيانة التقاليد العائلية ليساعد على الاحتفاظ بالامتيازات الاجتماعية.<sup>1</sup> ولعل فضيلة الإنسانية هامة لقواعد اللياقة وآداب المجتمع " أن تكون إنسانيا هو أن تكون في الحال على علاقة مع الآخر علاقة تتصور أنها ذات طبيعة طقوسية أن تتصرف بشريا ، يعني أن تتصرف طقوسيا ."<sup>2</sup>

### نتيجة :

وضع كونفوشيوس منظومة خاصة به تميز بها عن غيره ، حيث كان له أسلوب جديد في التعليم من خلاله ساوى بين جميع الطبقات ، لم يفرق بين نبيل أو فقير شرط أن يكون مجتهدا ومجدا وراغبا في طلب العلم . كما كانت له مجموعة من الفضائل الأخلاقية أراد أن يتحلى بها المجتمع الصيني ، بدءا بفضيلة الإنسانية الجين وهذه الفضيلة هي أساس

<sup>1</sup> \_ أليان ج ويدجري ، التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس الى توينبي ، مرجع سابق ، ص 46.

<sup>2</sup> \_ أن شانغ ، تاريخ الفكر الصيني ، مرجع سابق ، ص 81.

الفضائل الأخرى ، وفضيلة طاعة الأبناء وهي بمثابة الجذر الأساسي لتشكيل الإنسانية ، فعندما يكون الفرد في توافق مع الجين سيحقق الاستقامة في أفعاله ، وبذلك يتعلم قواعد اللياقة وآداب المجتمع ويطبقها في حياته ، وهذا سيظهر في سلوكه الصحيح داخل الأسرة والمجتمع ، فالأخلاق تصدر من الذات وتنتج إلى الآخر .

### تمهيد:

يقوم الفكر السياسي الكونفوشيوسي على الأخلاق، حيث ربط كونفوشيوس السياسة بالفضائل والقيم العليا ، وأشاد إلى ضرورة لجوء السياسة لممارستها ، ولعل مبادئ الحكم التي يقوم عليها نظام الحكم الصيني أساسها أخلاقي ، فالأخلاق والسياسة مرتبطان ، يعملان على إقامة العلاقات الإنسانية والحفاظ عليها وهدفهما هو ضمان استقرار الوضع الأسري والاجتماعي .

### المبحث الأول : الحكومة الصالحة

ربط كونفوشيوس الحكم بالأخلاق ، إذ " أن مفهوم الحكم هو مفهوم أخلاقي ، فعند ما يتصرف أفراد المجتمع على نحو أخلاقي مع الآخرين لن يكون هناك مشاكل اجتماعية ، وتحقيق السلام ينطلق من إعادة النشاط إلى قلب المرء ورعاية حياته الشخصية و التنظيم السليم للعائلة وهذا ما يطور الجين ويسود بذلك الخير والاخلاق."<sup>1</sup> فالأفراد يتصرفون أخلاقيا من خلال الوازع الذاتي عندهم ، وبهذا يكون هناك توافق بين أفراد المجتمع ويتحقق السلام الذي مصدره الجين، فحين يتصرف الفرد بطيبة مع أسرته سينعكس ذلك على المجتمع .

و حين سئل كونفوشيوس عن الحكومة الصالحة أجاب قائلا : (توجد الحكومة الصالحة حيث يكون الأمير أميرا و الوزير وزيرا و الابن ابنا ) .<sup>2</sup> فهيتواجد حينما يشغل كل فرد من أفراد المجتمع مكانه الخاص ، ولا يتجاوز ما هو غير مكلف به ، إذ أنها أمر ضروري لتحقيق الاجتماع البشري ، الذي لا يمكن أن يتحقق بشكل مثالي إلا إذا كانت هناك سلطة عليا تنظم العلاقات بين أفراد المكونين للمجتمع ، فضرورة النظام تأتي من ذات الإنسان ، ولا تتحقق إلا في المجتمع الإنساني.<sup>3</sup> وضرورة وجودها راجع إلى المساوي التي سادت عصر كونفوشيوس آنذاك ، لأنها لم تكن تملك حكومة صالحة ، ولم تكن هناك رغبة عند الحكام في قيام مثل هذه الحكومة ، أو أنهم غير مهيوون لذلك ، أو لأن الحكم كان وراثيا عندهم .<sup>4</sup> وهذا ما أدى إلى ظهور حكومات فاسدة وغير منظمة ، لذا أراد كونفوشيوس أن يعيش الناس في نظام من خلال قيام حكومة صالحة تحمي الاجتماع البشري ، فهي سلطة تقوم على تنظيم علاقات الفرد مع الآخرين .

<sup>1</sup> جون كولر ، الفكر الشرقي القديم ، مرجع سابق ، ص 344

<sup>2</sup> ول وايرلديورانت ، قصة الحضارة الصين الشرق الأقصى ، مرجع سابق ، ص 45

<sup>3</sup> هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص 135

<sup>4</sup> هـ ج كريل ، الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسيتونج ، مرجع سابق ، ص 64

وتسعى الحكومة عند كونفوشيوس إلى حفظ النوع البشري من الانقراض ، من خلال بناء حضارة إنسانية تتماشى مع التوجيهات الإلهية وقوانين الطبيعة ، بتوفير العيش للأفراد و حمايتهم وكسب ثقتهم . فالسما والارض هما من وضعا القواعد والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ليواصل الحكام في تطويرها وتطبيقها وتعليم الشعب ، وبهذا يصبح هناك توافق بين سياسة الدولة وقوانين الطبيعة .<sup>1</sup> ولعل قيام الحضارة الإنسانية يكون بتوافق الأوامر الإلهية وقوانين الطبيعة ، من خلالها تحمي الحكومة البشر ، ويتم باتباع القوانين والضوابط التي تسيّر سلوك الأفراد .

وقد وازن كونفوشيوس بين الدولة والأسرة بحيث ربط سعادة الدولة بسعادة الأفراد ، ففي اعتقاده " أن من المستحيل أن يعلم المرء الآخرين بينما هو عاجز عن تعليم وتنقيف أسرته ، ولذلك فإن الحاكم لا يمكن أن يعلم الشعب دون أن يكون قد علم أسرته ، وينبغي أن يتعامل أفراد الشعب مع الأمير أو الحاكم وفقا لفضيلة طاعة الأبناء للآباء ، وأن يتعاملوا مع كبار النبلاء على أساس مبدأ الخضوع للآخر الأكبر وكما يجب أن يتعامل النبلاء مع العامة انطلاقا من عاطفة الآباء تجاه أبنائهم."<sup>2</sup> فقيام حكومة صالحة أساسه التكوين الأسري الجيد، فمن خلال فضيلة الطاعة التي لها دور أساسي في تعلم الفرد ، وحين يتعلم داخل أسرته كيفية التعامل الحسن مع أفراد عائلته ، سينعكس ذلك في تعامله مع أفراد مجتمعه واحترامهم ، وهكذا سيطبق ذلك السلوك داخل دولته . وقد أكد كونفوشيوس على أهمية الحكومة من خلال سلطة الزوج داخل أسرته ، باعتبار الأسرة صورة مصغرة للدولة . " فالإنسان الذي تتصف شخصيته بالصلاح عندما يقوم بدور الابن ، وبالطاعة كشاب ، فمن النادر أن تتحرف شخصيته لتنتهك أوامر رؤسائه . " فأساس الدولة التعاون هذا ما جعل ريموند داوسون يقول :تعد فكرة الدولة بوصفها مشروعاً تعاونياً ، وليس منفعة من أجل الحكام ،

<sup>1</sup> \_محمد وقبع الله أحمد ، مدخل إلى الفلسفة السياسية، ط1، دار الفكر ، دمشق، 2010، ص52.

<sup>2</sup> \_هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص 135



ذات جذور عميقة في التعاليم الكونفوشيوسية.<sup>1</sup> ، فالتربية الحسنة للفرد داخل الأسرة وتعليمه للفضائل والقيم الأخلاقية وتطبيقها في مجتمعه ، سيساهم في تطوير علاقته مع غيره من خلال الاحترام المتبادل فيما بين أفراد المجتمع وتعاونهم على تحقيق منفعة وصلاح البلاد .

يرى كونفوشيوس " أن الدولة نتاج لمؤسسة البر والرحمة الأولى في المجتمع الإنساني وهو الأسرة ، فالعلاقات السياسية وليدة لمجتمع الأسرة ، وهي علاقات غير منفصلة عن علاقات المجتمع ، ويعتقد كونفوشيوس أنه لكي يحصل المجتمع على شكل مثالي من العلاقات السياسية ، لابد أن يؤدي كل فرد في المجتمع دوره بشكل جيد في شبكة العلاقات الاجتماعية."<sup>2</sup> ، فالدولة هي مجتمع أسري ، بحيث العلاقات السياسية هي العلاقات التي تربط المجتمع فيما بينه ، ولهذا دعا كونفوشيوس كل فرد بأن يقوم بواجبه على أكمل وجه ، وبهذا يتحقق صلاح الحكومة .

ويعتمد الهيكل السياسي على الأخلاق ، " حيث تختفي الحقوق السياسية لتحل محلها الواجبات ، فالحكومة الصالحة عند كونفوشيوس هي الحكومة التي تحقق السعادة للشعب ، والسعادة هي الخير وليست المنفعة ، ذلك لأن هدف الحكومة أخلاقي . بل إن المعاملات بين الناس لابد أن تسير على مبدأ تبادل المعاملات أو المعاملة بالمثل ، وهذا المبدأ عند كونفوشيوس هو أن يمتنع الفرد عن ارتكاب فعل في حق الآخرين يكره أن يوجهه له الآخرون."<sup>3</sup> ، فبدل الاهتمام بالحقوق على الفرد أن يبدأ بالواجبات التي عليه ويؤديها ، وبهذا سيحفظ حقوق غيره وفي المقابل تحفظ حقوقه ، وهكذا تتحقق سعادته ويعم الخير ، فالفرد عليه التعامل مع الآخرين وفق مبدأ تبادل المعاملة ، يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه ويجتنب أي تعامل لا يحبذ من الآخرين . " فالدولة ليست أداة للقوة والبطش فحسب، كما

<sup>1</sup> \_ هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص 137.

<sup>2</sup> \_ محمد وقيع الله أحمد ، مدخل إلى الفلسفة السياسية ، مرجع سابق ، ص 50 .

<sup>3</sup> \_ إمام عبد الفتاح إمام ، الأخلاق والسياسة ، ( د ط ) ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2001 ، ص 143.

أن السياسة ليست مجرد تعبير آخر عن علاقات القوة ، وليس ثمة تناقض ما بين الأخلاق والقوة ، حيث يرى كونفوشيوس أن الالتزام الأخلاقي يزيد من قوة الدولة وهيبتها وسلطانها .<sup>1</sup>

وقد آمن كونفوشيوس بأن الحكومة الصالحة هي التي تهدف لسعادة شعبها ، ولكي نصل إلى مثل هذه الحكومة لابد أن يتولى الحكم رجل عظيم ، له كفاءة غير مرتبطة بالمال أو الجاه أو الثروة ، وإنما يتعلق بالخلق والمعرفة ، وهذا نتيجة تلقيه تربية جيدة . لذا أراد كونفوشيوس نشر التربية لتعم كل البلاد ، ومن هنا يتكون الحاكم المثالي ليتولى الحكم .<sup>2</sup>

ولعل تحقيق الحكومة الصالحة لسعادة الشعب يقوم على أساس اختيار الحاكم الأفضل لها ، واختيار الحاكم ليس عن طريق الوراثة وإنما عن طريق اختيار من يملك كفاءة معرفية وتربوية وأخلاقية ، فالتربية أساسية في تكوين الحاكم ، وهذا ما أدى بكونفوشيوس إلى إصراره على التعلم لكي ينشأ من خلالها أشخاص مثاليون . فمصدر السلطة السياسية يرجع للشعب ، فصوت الشعب هو صوت الله ، والحكومة التي لا تحظى باحترام شعبها ولا ثقته هي حكومة فاشلة ، وانتشار الفساد فيها سيؤدي بها إلى الانهيار والزوال .<sup>3</sup> ، "و السلطة لا تكون مشروعة إلا إذا اقتربت برضاء الشعب ، وفي هذا السياق يقول : إن قوة الدولة لا يمكن أن تقوم على الأوامر وحدها ولا على النظام العقابي ، لأن النظام والسلام في الدولة لا يمكن ضمانهما إلا بالاعتراف الإرادي الواعي بالسلطة ، ومن ثم فقد حدد كونفوشيوس الثورة على الحاكم الذي يستبد بالسلطة أو يسيء استعمالها .<sup>4</sup> إذا فالشعب له دور أساسي في السلطة السياسية ، إذ هو من يترأس السلطة العليا ومشروعيتها تكون تحت أمره ، وله الحق في أن يثور على الحاكم المستبد والظالم .

<sup>1</sup> محمد وقيع الله أحمد ، مدخل إلى الفلسفة السياسية ، مرجع سابق ، ص 49 \_ 50 .

<sup>2</sup> مصطفى النشار ، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 85 .

<sup>3</sup> صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص 187 \_ 188 .

<sup>4</sup> فضل الله محمد إسماعيل ، فلسفة السياسة ، (د ط) ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية ، 2008 ، ص 107 .

وتعتبر الأخلاق شرطا أساسيا لحكم الشعب ، فعلى الحكومة الصالحة أن تعلم الناس الأخلاق ، فالأخلاق إذا فسدت فسدت الأمة كلها ، وبهذا شبه الأخلاق بالحواجر التي تحول بين الناس وتتبع الشهوات ، ولهذا وضع كونفوشيوس مجموعة من الشروط ليكون الحكم صالحا وهي الأخلاق ووجود السلطة وحب التاريخ ، فإذا لم يتوفر شرط من هذه الشروط سيؤدي هذا إلى فشل الحكومة حتى وإن كان الحكم صالحا .<sup>1</sup> فصلاح الحكم راجع للأخلاق السائدة لدى الشعب ، إذ أن الأخلاق هي من تمنع الفرد من ارتكاب المعاصي وترشده إلى طريق الصواب ، إضافة إلى السلطة والتاريخ ، وبدون توفر إحدى هذه الشروط سيصبح الحكم فاشلا .

كما يجب على الحكومة أن تغرس الأخلاق الطيبة من خلال اتباع آداب اللياقة التي تكون بمثابة المظهر الخارجي لأخلاق الأمة ، " فآداب اللياقة حواجر تقوم بين الناس وبين الانغماس في المفساد."<sup>2</sup> ولعل فضيلة آداب اللياقة لها دور في قيام حكومة صالحة ، فمن خلالها يصلح الفرد وبذلك يصلح المجتمع ، ثم تصلح الأمة بأكملها ، وتبعد الإنسان عن كل المفساد وتقوده لكل ما يتوافق مع صلاح الأعمال . كما وضع كونفوشيوس مجموعة من الخصال التي تجعل الحكومة صالحة وهي أن لا تكون هناك علاقات خارجية للمجتمع ، لأنه يعتبر ذلك مضرًا للشعب، كما دعا للتقليل من الفوارق الاجتماعية والتقليل من ترف الملوك ، وتوزيع الثروة على الجميع ، وبهذا سيسعد الشعب ، وتخفيف العقاب ونشر التعليم، وعدم تدريس الموضوعات العليا لذوي المواهب المتوسطة ، إضافة إلى غرس الأخلاق الطيبة ، ففساد الأخلاق ينتج عنه فساد الحكومة .<sup>3</sup> إذ أن هدف الحكومة هو أن تكون علاقات المجتمع فيما بينه فقط ولا وجود لأي رابط خارجي مع أي مجتمع آخر ، كما تدعو

<sup>1</sup> \_ صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص 183 .

<sup>2</sup> \_ ول وايرلديورانت ، قصة الحضارة الصين الشرق الأقصى ، مرجع سابق ، ص 63 .

<sup>3</sup> \_ محمد سليمان حسن ، تيارات الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ، ص 69 .

إلى تجنب التفرقة الطبقيّة وتقاسم الثروة بين أفراد المجتمع ، وهكذا ستتحقق سعادته ونشر التعليم الذي يساعدهم على تنمية معارفهم ومعرفة قدراتهم ، وبهذا تستمر الحكومة الصالحة.

ولعل شرط الحكم الصالح وبقائه هو توافر الرجال الصالحين ، فإذا افتقر المجتمع إليهم ، تداعى الحكم وانهار ، وعلى الناس أن يبذلوا اهتماما فائقا بشؤون الحكم مثلما تعنى الأرض بإنماء الأشياء ، وهنا يصبح الحكم كالشجرة أصلها ثابت وتطاول فروعها في السماء . فإرادة الحكومة تستند في المكان الأول على الرجال الصالحين ، وفي مكنة الحكام أن يظفر بالرجال الصالحين بفضل قوة الشخصية ، ويتأتى تقوية الشخصية باتباع السبيل الحسن ويدركه المرء بوساطة ممارسة القيم الإنسانية ، وفي طبيعتها محبة أفراد العائلة ولاسيما الوالدين .<sup>1</sup> "استمرار الحكم الصالح راجع لوجود رجال صالحين ، وذلك لما لهم من قيم وقوة شخصية ، فهم الأساس في إنماء المجتمع ، إذ أن الحكومة لا تقوم إلا على وجود مثل هؤلاء الرجال ليسيروا الحكم . فعندما يكون الحكم صالحا " فإن السعادة تتحقق في المجتمع ، وكل الغرباء يرغبون في العيش فيه ، إذ تكون الحكومة صالحة إذا ما كان الخاضعون لسلطانها سعداء ، والبعيدون عنها تواقين للانطواء تحت لوائها ."<sup>2</sup> فقيام الحكم الصالح على مبدأ الاحترام بين الأفراد وتخفيف العقوبات التي عليهم ، ومن خلاله يسود النظام داخل المجتمع ، وتتحقق سعادتهم ، فإن كان الحكم صالحا سيرغب الجميع في العيش فيه . حيث تفرض الاحترام وتبتعد عن العنف والعقوبات على المخالفين ، وهكذا يعم السلوك الحسن داخلها وتتصلح أحوال المجتمع فيها ، كما يجعلون حاكمهم الصالح مثلهم الأعلى الذي يجي اتباعه .<sup>3</sup> ولعل مبادئ الحكم عند كونفوشيوس : " هي الحكم عن طريق المحبة والحكم بالفضيلة والاحترام والقدوة الحسنة والسنة الطيبة ، وهي كما نرى كلها مفاهيم اخلاقية وليس

<sup>1</sup> \_صلاح بيسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص 189\_ 190 .

<sup>2</sup> \_عمر عبد الحي ، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة ، مرجع سابق ، ص 188 .

<sup>3</sup> \_صلاح بيسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، مرجع سابق ، ص 183 .

ثمة إشارة واحدة إلى محاولة تحويل هذه المفاهيم إلى قوانين أي تحول الأخلاق إلى سياسة.<sup>1</sup>

والتزام الحكومة بالأخلاق يساعدها على تقدم حضارتها ، فلذا يجب ربط الأخلاق والسياسة وهذا ما يجعل نظام الحكومة مستقرا ، ومتوازنا ومتوافقا مع الشعب ، وذلك بتحقيق مطالبه ويبعده عن الفساد والانحلال ، فالشعب يرتبط بحكومته فهي تحييه بالتفاوض ، ويندفع إلى تحقيق طموحاته .<sup>2</sup> وتكون استمرارية الحكم بالالتزام بالقواعد الأخلاقية ، والحكومة تلزم الفرد بالأخلاق لتساعدها على تطور وتقدم حضارتها ، فالأخلاق والسياسة مرتبطان ، وهذا ما يساهم في استقرار الحكم واستمراره ، كما يولد توافق بين الشعب والسلطة من خلال رده عن المفساد وارشاده إلى الطريق السوي.

ويرى كونفوشيوس " أن الحكم بحد السيف والخنجر مستحيل ، وبأن السلطة الوحيدة الدائمة إنما هي المنبعثة من الفضيلة ، وفي هذا يقول كتاب اي \_ كينج في وعظ الأمراء : إن القوانين القاسية لا تستطيع أن تحقق الرخاء ، وإن نصيب الحزم يساوي نصيب الخيرية ، وإن القسوة يجب أن تقف عند التوسط ، فإذا ما تعدته فقدت نتيجتها النافعة ، ومن يطبق القانون بوداعة مع حزم وبخيرية مع قسوة معتدلة يفز بالشهرة ، إذ يكون قد أدى وظيفته على وجه الكمال ."<sup>3</sup> فالحكم يجب أن يكون باللين وليس بالقسوة مع الشعب ، وذلك باللجوء إلى القيم والمبادئ الأخلاقية ، فالقسوة لا تحقق شيئا من القانون ، حيث بإمكان مخالفين القانون أن يلجؤوا للحيلة ليفلتوا من العقاب ، أما إن تعامل برخاء معهم فسوف يتبعون القانون ، لذا فإن الفضيلة هي التي تسير الدولة أكثر من القانون القاسي .

<sup>1</sup> \_ إمام عبد الفتاح إمام ، الأخلاق والسياسة ، مرجع سابق ، ص 143.

<sup>2</sup> \_ محمد وقيع الله أحمد ، مدخل إلى الفلسفة السياسية ، مرجع سابق ، ص 49.

<sup>3</sup> \_ محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ، ص 229 .

كما ركز كونفوشيوس على الأخلاق والتعليم وأهمل أمر القانون ، ظنا منه أن التكوين الأخلاقي والعقلي للفرد كافي لإرشاده للسلوك الاجتماعي والسياسي ، فالفرد لا يحتاج إلى القانون ، بل الإخلاص هو الأهم ، لأن الفرد بإمكانه التخلص من العقوبات وذلك بالحيل ، أما إن كان مخلصا فهو يتجه إلى فعل الخير.<sup>1</sup> فاهتمام الفرد بالأخلاق والتعليم أكثر من القانون راجع لكفاءته العقلية و الخلقية التي ترشده للسلوك القويم مع المجتمع ، إضافة إلى إخلاصه الذي يقوده إلى سلوكه الخيري . فالحكومة الصالحة هي التي تدير شؤون الحكم بتوجيه الناس والعمل على إقناعهم ، وليس بوسيلة العقاب الذي يجب أن يخفف قدر الإمكان ، ويكون توجيه الناس عن طريق نشر التعليم لأنه ينير العقول ويساعدهم على فهم الأخلاق ، مما يؤدي إلى تماسك المجتمع وتخفيف العبئ على الحكام في التدخل في الشؤون .<sup>2</sup> وتكون أهمية التعليم ونشره في الحكومة الصالحة ، من خلال مساعدة الأفراد على ترسيخ الأخلاق باعتبارها أساسية في تماسك المجتمع . ورغم اهتمامه بالأخلاق والتربية " إلا أنه لم يهمل أمر الحكومة ، ولم يؤمن بزوالها عندما يتكون الوازع الذاتي عند الأفراد ، بل ظل يردد أن الدولة ورجالها من حكام وموظفين هم أساس تربية الشعب وتنقيفه وزرع الوازع الطيب فيه ، فمن طبقة رجال الدولة تنبثق الأخلاق الأساسية لتسود الشعب ."<sup>3</sup> فأساس وعي الشعب هو الوازع الذاتي عند أفراد المجتمع ، لذا دعا إلى ضرورة تربية الأفراد وتعليمهم الأخلاق لكي يتحقق الحكم الصالح . حيث يقول كونفوشيوس : " إن الناس يحتاجون في حياتهم التخلق والاستقامة ، أكثر مما يحتاجون إلى الماء والنار ، ولقد رأيت أناسا كثيرين يموتون غرقا بالماء أو حرقا بالنار ، ولكن ما رأيت قط إنسانا مات بسبب تمسكه بقيود الخلق والفضيلة ."<sup>4</sup> فأهم ما يلزم الأفراد هو وجود القيم والأخلاق ، لذا يجب التمسك بهم

<sup>1</sup> \_ محمد وقيع الله أحمد ، مدخل إلى الفلسفة السياسية ، مرجع سابق ، ص 55 .

<sup>2</sup> \_ عمر عبد الحي ، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة ، مرجع سابق ، ص 188 .

<sup>3</sup> \_ المرجع نفسه ، ص 55 .

<sup>4</sup> \_ محمد وقيع الله أحمد ، مدخل إلى الفلسفة السياسية ، مرجع سابق ، ص 49 .

، فهو يرى أن فقدان الماء والنار قد يؤدي جسم الإنسان، ولكن فقدان الأخلاق يؤدي عقله وروحه .

كما تعمل الحكومة على توفير الاحتياجات المادية والروحية ، وتهتم بتصرف الناس أخلاقيا لكي يتحقق السلام ، فوظيفة الحكومة هي سن القوانين وجمع الضرائب ، وبناء المدارس وتنظيم العمل والإنتاج ومنح كل فرد نصيبه منه . والحكومة الكونفوشيوسية تقوم بالوظائف الحكومية على المستوى المحلي ، فالحاكم يحرص على جعل علاقته سلمية مع الآخرين ، ويتحقق هذه العلاقة السلمية بين أفراد المجتمع سيكون قد تحقق الحكم الصالح<sup>1</sup> . فواجبها هو تلبية احتياجات الشعب ماديا وروحيا وأخلاقيا ، وتحقيق السلام لهم ، فاهتمامها بالشعب يجعل منه شعبا سلميا.

وقد رد كونفوشيوس الحكومة الفاسدة إلى عزوف الحكام عن إقامة الحكومة الصالحة، " لسواء لسوء نيتهم ، أو عن جهل وأنانية ، أو لقصور الكفاءة والمؤهلات ."<sup>2</sup> وفساد الحكم يرجع إلى تفشي الأنانية والجهل وإلى قصور الإمكانيات والمؤهلات عند القائمين على الحكم الناشئ ، وتولي الحكام مناصبهم عن طريق الوراثة ، ولا يتحقق علاج هذا الفساد إلا إذا تقلد مقاليد الحكم أكفأ عناصر الأمة علما وخلقا، ولا تتعلق هذه الأهلية والكفاية بأي نسب أو ثروة أو مركز اجتماعي ، بل يتعلقان بالخلق القويم والمعرفة المستتيرة ثمرة التربية الصحيحة، ومن ثم يجب الاهتمام بنشر التربية وتعميم التعليم وإشاعتها في جميع أرجاء البلاد ، حتى تمكنا من اعداد الموهوبين لتولي مهام الحكم والإشراف على وظائف الدولة بغض النظر عن أصلهم ومنبتهم ."<sup>3</sup> ومن هنا نجد أن سبب فساد الدولة هو الأنانية والجهل لدى الحكام أو لعدم توفر المؤهلات التي تجعلهم يتولون ذلك المنصب ، لذا يرى بأنه يجب

<sup>1</sup> \_ جون كولر ، الفكر الشرقي القديم ، مرجع سابق ، ص 344.

<sup>2</sup> \_ إمام عبد الفتاح إمام ، الأخلاق والسياسة ، مرجع سابق ، ص 144.

<sup>3</sup> \_ صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص 188.

تتصيب من يملك كفاءة في العلم والخلق اللذان استمدها من التربية والتعليم ويجب نشرها في جميع أنحاء الدولة. ولعل الهدف من وضع الحكومة الصالحة هو تحقيق ثلاثة أمور : وهي الكفاية من الطعام والكفاية من العتاد الحربي ، وثقة المحكومين بحكامهم ، ويرى كونفوشيوس أنه بالإمكان التخلي عن الطعام والجيش ولا نتخلي عن ثقة الشعب بحكامهم ، فهذا سيؤدي إلى زوال الدولة .

يقول كونفوشيوس: "من ضروريات السياسة الأقوات الواقية ، وذخائر الحرب الكافية وثقة الرعية ، وإذا اضطررنا إلى حذف شيء من هذه الأشياء فلنبدئ بحذف ذخائر الحرب ثم حذف الأقوات ، لأن الموت كان حظ الإنسان منذ سالف الزمان، ولكن ثقة الرعية لا يمكن حذفها إذ لاتقوم السياسة إلا بها."<sup>1</sup>، فشرط قيام الحكومة واستمرارها يكون قائما على ثقة الشعب في حاكمهم، إذ أن بإمكان الحكومة التخلي عن الجيش والطعام ولا تتخلي عن ثقة الشعب، فهو يعتبر الثقة أمرا ضروريا في الحكم وبزوالها تنهار الدولة وتزول .

ولعل الحفاظ على الدولة وتحقيق العظمة ينطلق من تنظيم الحياة الوطنية ، وعندما أرادو تنظيم الحياة الوطنية كان عليهم تنظيم حياتهم العائلية ، ولما أرادو تنظيم حياتهم العائلية كان عليهم رعاية حياتهم الشخصية ، ولرعاية حياتهم الشخصية كان عليهم أن يعيدوا النشاط لقلوبهم ، ولما أرادو إعادة النشاط لقلوبهم كان عليهم تحقيق إخلاص نواياهم ، ولتنطهير قلوبهم كان عليهم أن يعملوا على تحقيق المعرفة الحقة ، وتحقيق المعرفة الحقة يعتمد على تمحيص الأشياء ، وعند تمحيص الأشياء فإن المعرفة تتحقق، وعندما بلغوا المعرفة أصبحت الإرادة عندئذ مخلصه ، وعندما تصبح الإرادة مخلصه فإن القلب يعود إليه النشاط .<sup>2</sup> أي أن الحكومة الصالحة تحقق من خلال تنظيم حياة الفرد لحياته الشخصية والإخلاص في أعماله

<sup>1</sup> \_ صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، 197 .

<sup>2</sup> \_ جون كولر ، الفكر الشرقي القديم ، مرجع سابق ، ص 342\_ 343.



## الفصل الثالث : علاقة الأخلاق بالسياسة في فكر كونفوشيوس

---

، ورعاية عائلته ومجتمعه ، وهذا سينعكس على دولته ، من خلال المحافظة عليها وتحقيق عظمته .

### المبحث الثاني : أخلاق الحاكم وفضائله

يرى كونفوشيوس : " أن المبدأ الأول الذي يقوم عليه الحكم هو نفس المبدأ الذي تقوم عليه الأخلاق ، ألا وهو الإخلاص . ولهذا كانت أداة الحكم الأولى هي القدوة الصالحة ، ومعنى هذا أن الحاكم يجب أن يكون المثل الأعلى في السلوك الحسن حتى يحذو الناس حذوه ، فيعم السلوك الطيب جميع أفراد شعبه ."<sup>1</sup> فأساس الحكم هو الإخلاص ، حيث يتبع الرعية أخلاق حاكمهم ، لذا وجب عليه أن يكون مثلهم الأعلى ، وأن يهتم بأخلاقه وجعلها قدوة حسنة لهم . فالحاكم هو الذي يجسد المثل الأعلى للمفهوم السياسي الكونفوشيوسي حيث يتحلى بفضيلة الإنسانية التي من خلالها يكون حكمه باللين لا بالقهر.<sup>2</sup> ففضيلة الإنسانية هي التي تمكنه من حكم رعيته ، فحين يلجأ إلى الأسلوب الطيب مع رعيته ويتجنبه أسلوب القوة ليكسب انضباط رعيته وطاعتهم له . ويرى أن الحاكم يتصف بأعلى درجات المسؤولية الأخلاقية داخل الدولة : " فإذا وصل إلى أعلى مستوى أخلاقي في حياته سيضمن استمراره في الحكم وتنتشر كل قيمه في بلاده ، عندما يملك الحاكم الفضيلة فإنه يستحوذ على الشعب وبعدها سيملك الدولة . وبهذا حث كونفوشيوس الأفراد على اكتساب القيم الأخلاقية السامية فهي التي تحدد السلوك ، ثم وضع مجموعة من القيم التي يجب أن تطبق في الدولة. فالفضيلة هي الجذر والثروة هي النتيجة ، فإذا جعل الحاكم الجذر هو الهدف الثاني والنتيجة هي الهدف الأول فإنه سيدخل في نزاع مع شعبه بل إنه سيعلمهم السلب ."<sup>3</sup> إذ على الحاكم أن يكتسب القيم الأخلاقية التي من شأنها أن تقوده إلى الحكم، فالأخلاق هي التي تضمن مكانته في الدولة وبين شعبه، إذ تعتبر الفضيلة هي الهدف الأول

<sup>1</sup> \_ول وايرلديورانت ، قصة الحضارة الصين الشرق الأقصى ، مرجع سابق ، ص 61.

<sup>2</sup> \_أن شانغ ، تاريخ الفكر الصيني ، مرجع سابق ، ص 88.

<sup>3</sup> \_هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص 141.

الذي يجب تحقيقه قبل بحثه عن الثروة وإن فعل عكس ذلك سيؤدي به إلى الدخول في صراع مع شعبه ومن خلال هذا يتعلمون منه سياسة النهب.

فمن واجبات الحاكم أن يكون قدوة حسنة إذ عليه أن يحسن اختيار الموظفين للمناصب التي سيشغلونها في الدولة ، وعليه أن يتغاضى عن الهفوات الصغيرة . يقول كونفوشيوس : "إن تصريف شؤون الحكم إنما يقوم على استعمال من يصلح له من الناس وما من سبيل للحصول على هؤلاء الناس إلا أن تكون أخلاق الحاكم نفسه صالحة ."<sup>1</sup> وقد " وصف كونفوشيوس الإنسان الماجد بأن قلبه خلو من الخوف والقلق ، فهو عندما يستعرض أعماله لا يجد سببا للخشية من الناس أو مبررا لعزلهم إياه أو تبكيت ضميره . ولمنهاج الماجد ثلاث زوايا : لا يحس بالقلق لكرم أخلاقه ، وهو لحكمته بريء من الحيرة والتشوش ، ولشجاعته لا يخشى أحدا ."<sup>2</sup> فتقّة الحاكم بنفسه والتزامه بأعماله وانجازها على أكمل وجه ، وبهذا سيضمن مكانته ، كما يكون ذا أخلاق عالية وحكيما وشجاعا لا يهاب شيئا . "والرجل الذي يمكن أن يكتسب ثقة العامة ، ويتمكن من الحصول على سلطة عليا هو الذي يتمتع في الأساس بصفة أخلاقية متميزة ، تجعل له الأولوية على سائر أعضاء المجتمع . ( إذا تمكن الإنسان من اصلاح ذاته فما هي الصعاب التي سوف تواجهه في أن يشارك في الحكم ."<sup>3</sup> فتولي الرجل لمنصب في الحكومة دليل على تحليه بقيم أخلاقية عالية ، وهذا ما يكسبه ثقة شعبه وصلاح حكمه . كما أنه ليس بحاجة إلى أن يكون ذو نسب عريق ، لكن يجب أن يكون سلوكه نبيلًا وعادلاً ، كما يراعي مشاعر الآخرين بعيدا عن الأنانية ، فالحكم راجع لشخصية الرجل وسلوكه وليس له علاقة بالنسب. يقول كونفوشيوس: " من الصعب توقع أي شيء من الرجال الذين يتخمون انفسهم بالطعام طوال اليوم، في حين أنهم لا يعلمون عقولهم

<sup>1</sup> \_ صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص 194 \_ 195.

<sup>2</sup> \_ عمر عبد الحي الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة ، مرجع سابق ، ص 174.

<sup>3</sup> \_ هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص 140.

أبدا بأية طريقة على الإطلاق ، حتى المقامرين يفعلون شيئا ما وبذلك فهم أفضل هؤلاء المتبطلين ."<sup>1</sup> ولعل توليه لمنصب في الدولة ، ليس له أي علاقة بالنسب أو المال، بل بأخلاقه وسلوكه النبيل ومراعاته للآخرين، فاختيار الحاكم يعود لشخصيته واعمال عقله في الأمور التي تنفع شعبه. كما " يستعين في قيادة الشعب بالفضيلة ، والسنة الحسنة ، والقوة الطيبة ، واعتمد على العرف والعادات الصالحة التي يوقرها الشعب وينزلها منزلة التقديس ، فهنا يرتبط الناس برباط قوي ، وهو رباط اخلاقي متين لتقويم أنفسهم وصلاح حالهم ."<sup>2</sup> والقوة الحسنة هي أولى وسائل الحكم وحسن اختيار المناصب هو الوسيلة الثانية ، يقول كونفوشيوس : " استمل الصالحين المستقيمين ، وانبذ المعوجين ، وبهذا يستقيم المعوج ."<sup>3</sup> فالحاكم يكون قوة حسنة لرعيته إذ يجعلونه قدوة لهم ، وهو بدوره يختار من هم أكفاء ليتولى المناصب في دولته ، فإن كان صلحا سيختار من هم صالحون وإن كان فاسد سيختار الفاسدين .

و الحكمة تبدأ في البيت ، وأساس المجتمع هو الفرد المنظم في الاسرة المنتظمة ، فالرقي يبدأ بالذات ثم ينتقل الى المجتمع ، وحين سئل كونفوشيوس عن الرجل الاعلى أجاب قائلا : أن يتقف نفسه بعناية ممزوجة بالاحترام. فالرجل المثالي في نظر كونفوشيوس هو الذي تجتمع فيه الفلسفة والقداسة ، ويرى أن على الحاكم أن يتميز بثلاث فضائل وهي : الذكاء وحب الخير والشجاعة .<sup>4</sup> فعندما ينشأ الفرد تنشئة جيدة في أسرته ، ويتعلم المبادئ والقيم الأخلاقية ليصبح رجلا مثاليا ، ويكون مؤهلا بأن يتولى الحكم ، ويرى كونفوشيوس بأن على الحاكم أن تجتمع فيه فضيلة الذكاء وحب الخير وفضيلة الشجاعة . " و النموذج الذي وضعه كونفوشيوس للحاكم الفيلسوف المتصف بالحكمة ، هذا هو الرجل الفاضل النبيل الأعلى

<sup>1</sup> \_ هيلدا هوخام ، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ ، مرجع سابق ، ص 39 .

<sup>2</sup> \_ إمام عبد الفتاح إمام ، الأخلاق والسياسة ، مرجع سابق ، ص 143 .

<sup>3</sup> \_ ول وايرلديورانت ، قصة الحضارة الصين الشرق الأقصى ، مرجع سابق ، ص 61 .

<sup>4</sup> \_ المرجع نفسه ، ص 57 .

المثال الذي يعد الغاية القصوى لنسق كونفوشيوس وتعاليمه الأخلاقية ، لذا فقد كان البرنامج التعليمي لديه يهدف في المقام الأول نحو تعليم وتهذيب الإنسان كيف يكون السلوك الفاضل وكيف يمكن للإنسان أن يطور طبيعته البشرية .<sup>1</sup> إذ على الرجل الحكيم التحلي بالحكمة التي يجب أن تظهر في جميع أعماله ويلتزم بها ، كما عليه أن يلتزم بمجموعة من القواعد التعليمية ليُعلم ويهذب الفرد ويكون سلوكه فاضلا ويساعد على تطوير طبيعته البشرية .

حيث اهتم كونفوشيوس بأخلاق الحاكم والفضائل التي يجب أن يتحلى بها والتي تجعل شعبه يحبونه ويخلصوا له ، يقول كونفوشيوس : "قليرأسهم في وقار، يحترموه ، وليكن عطوفا عليهم رحيمًا بهم ليخلصوا له ، وليقدم الصالحين ويعلم العاجزين ، يحرصوا على أن يكونوا فضلاء."<sup>2</sup> إذ أن تحلي الحاكم بالأخلاق تجعله محبوبا لدى شعبه ، ويخلصوا له ويحترموه ، لذا عليه أن يكون رؤوفا بهم ويعطف عليهم ويعلمهم الفضائل العليا . كما ركز على فضيلة الخير الذي يعتبره جوهر شخصية الإنسان النبيل الحكيم ، ففي اعتقاده أن الخير تصدر عنه كل القيم الأخلاقية والقوانين والمبادئ السماوية ، فالإنسان الخير هو الذي يساعد الآخرين على تقديم المساهمات .<sup>3</sup> فالخير هو مصدر القيم الأخلاقية ، التي تنمي شخصية الفرد وسلوكه ، فالإنسان الخير لا يكون أنانيا يحب غيره ، ويساعده للوصول إلى أعلى المراتب وتحقيق الإنجازات .

ويتصف الحاكم بمجموعة من الفضائل وهي : العيش في وفاق مع نفسه ، فهو لا ينقطع عن العلم ، ويقدم الأمانة ، ويفضل الموت على الذل ، ويعيش حياة بسيطة بعيدة عن الترف ، وأن يتحلى بالمسؤولية الاجتماعية ، وأن يكون على اطلاع بالتراث القديم وأن يقاسم

<sup>1</sup> \_ زروق زينيه وآخرون ، الفلسفة الأخلاقية ، مرجع سابق ، ص 50.

<sup>2</sup> \_ جمال شمس الدين ، الفضائل والقيم لدى الشعوب القديمة ، مرجع سابق ، ص 132.

<sup>3</sup> \_ وو بن ، الصينيون المعاصرون ، مرجع سابق ، ص 125.

الآخرين الآلام .<sup>1</sup> إذ أن فضيلة الاستقامة والحكمة هي التي تمكن الفرد من تولي مناصب في الحكم ، دون النظر إلى نسبه أو عرقه أو مكانته الاجتماعية ، لكن يجب أن يكون سلوكه حسنا بعيدا عن المفاصد . كما يجب أن يكون الحاكم فضيلا ، مستقيما ، حكيما ، بل قديسا ومنزها عن النقص، ومن يتحلى بالفضيلة يمكن أن يكون حاكما حتى وإن كان ابن فلاح ، لذا عليه أن يمضي على الصراط المستقيم.<sup>2</sup> وله دور هام في تحقيق صلاح الدولة ، فهو يعمل على تنظيم الأوضاع من خلال قمع الفساد والفوضى التي تسود المجتمع ، ومحاولة تطبيق نظام أخلاقي يتبعه كل من الأفراد بالقيم الأخلاقية والدعوة إلى التقيد بالتقاليد والأعراف إضافة على نشر التعليم الذي ينمي القيم الخلقية .<sup>3</sup> كما يقوم بتنظيم أوضاع شعبه ومنعه من القيام بالفساد ، وهذا من خلال اتباعه أسلوبا أخلاقيا ويطبقه على جميع الأفراد كما يدعوهم إلى التمسك بعادات تقاليد المجتمع ، وتنمية القيم الأخلاقية لديهم.

ويضع الرجل الأعلى نصب عينيه تسعة أمور لا ينفك يقبلها في فكره . فأما من حيث عيناه فهو يحرص على أن يرى بوضوح ، وأما من حيث وجهه فهو يحرص أن يكون بشوشا ظريفا ، وأما من حيث سلوكه فهو يحرص على أن يكون وقورا ، وف حديثه يحرص على أن يكون مخلصا ، وفي تصريف شؤون عمله يحرص على أن يبذل فيه عنايته ، وأن يبعث الاحترام في من معه ، وفي الأمور التي يشك فيها يحرص على أن يسأل غيره من الناس ، وإذا غضب فكر فيما قد يجره عليه من غضبه من الصعاب ، وإذا لاحت له المكاسب فكر في العدالة والاستقامة .<sup>4</sup> إذ يهتم بأموره من خلال النظر الجيد والتمعن فيها ، والتعامل بلطف مع رعيته ، واحترام الناس ، كما يلجأ للسؤال في الأمور التي يشك فيها ، ويفكر في عواقب غضبه ، وأن يكون عادلا ومستقيما . ويحذر كونفوشيوس الحكام من الظلم ، لأن الناس

<sup>1</sup> مصطفى النشار ، تاريخ الفلسفة من منظور شرقي ، مرجع سابق ، ص 41.

<sup>2</sup> محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، مرجع سابق ، ص 229 .

<sup>3</sup> عمر عبد الحي ، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة ، مرجع سابق ، ص 183 \_ 184 .

<sup>4</sup> ول وايرلديورانت ، قصة الحضارة الصين الشرق الأقصى ، مرجع سابق ، ص 59 .

تنفر من الظلم أكثر مما تنفر من الوحوش الكاسرة ، فإذا كانت الحكومة ظالمة ، فإن الناس يثنون ويفضلون العيش في الغابات ، إذ يقول كونفوشيوس : إن الحكومة الظالمة هي أشد وحشية من النمر.<sup>1</sup> فرغبة الناس في العيش في أمان وبعيدا عن الظلم ، وهي ما تجعلهم محبين لدولته ويفضلون العيش فيها ، لكن إن كانت دولة ظالمة فهم يحبذون العيش في الغابات على العيش فيها ، لذا فواجب الحكام أن يوفر الأمن والسلام لشعبهم .

يقول كونفوشيوس : " احكم الشعب بالتنظيمات واحفظ النظام بينهم بالعقوبات ، وسوف يفرون منك ويفقدون كل احترام للذات ، واحكمهم بالقوة الأخلاقية واحفظ النظام بينهم بالطقوس والشعائر وسوف يحتفظون باحترامهم لأنفسهم ويقبلون عليك طواعية ."<sup>2</sup> ويضيف قائلا : " الرعية اذا قدها بالأحكام وأصلحتها بالعقوبات ستحاول التخلص منك ، وهي غير مستحبة من ارتكاب الجرائم ، واذا قدها بالفضائل وأصلحتها بالآداب ، ستستحي من ارتكاب الجرائم وهي صالحة ."<sup>3</sup>

من القولين السابقين نجد أن كونفوشيوس يحبذ أن يكون الحاكم متساهلا مع رعيته ولا يفرض عليهم العقوبات وأن يعتمد في حكمه على الأخلاق والفضائل ، لأن الحكم بالقوة يحتم على الشعب فعل الجرائم واتباع المفسد ، وبهذا يلجؤون إلى عصيانه ، أما حكم الأخلاق يكسب طاعة شعبه وولائهم له .

كما يرفض كونفوشيوس " أن يقوم الحاكم بقيادة الشعب بالحديد والنار ، وأن يحكم بقسوة وعنف بحيث يقوم بتوقيع شتى العقوبات لإقرار الأمن والنظام فهو يدعو الشعب لاحترام النظام لأن الشعب في هذه الحالة الأولى ( أي قوة الحاكم ) سوف يتحاشى العقوبات لكنه

<sup>1</sup> \_ عمر عبد الحي ، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة ، مرجع سابق ، ص 186.

<sup>2</sup> \_ هيلدا هوخام ، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ ، مرجع سابق ، ص 39 .

<sup>3</sup> \_ صلاح بسبوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص 198.

لن يعبأ باحترام الحاكم واحترام إرادته .<sup>1</sup> فاستخدام الحاكم الأسلوب القاسي مع شعبه سيؤدي بهم إلى عدم الرضوخ للعقوبات ، بل سيستمر في فعل الجرائم ولن يخشى ذلك ، لذا على الحاكم أن يدعو شعبه لاحترام النظام وتطبيق القوانين ، وبهذا سيكسب احترامهم واحترام القوانين وعدم تجاوزها . كما عليه أن يتعلم حسن معاملة الناس وأن يكون حكمه عادلا وحريصا على تعلم عائلته هذه المبادئ وأن تسود النزعة الإنسانية التي من خلالها تنتظم أمور المجتمع ، فإن وفق الحاكم في تعليم عائلته وتهذيبها يوفق في تعليم رعيته وتهذيبهم ، وإذا فسد فسدت العائلة وبالتالي يفسد المجتمع . يقول كونفوشيوس : "إن فن القيام بحكم سليم يقتضي أن يكون الحاكم قادرا أولا على إقامة نظام سليم في أسرته ، ومن الضروري بالنسبة للشخص الذي ينتمي للطبقة الحاكمة أن ينظم سلوكه الشخصي من خلال قيامه بواجباته إزاء أقاربه ، ومن ثم إزاء الأفراد الذين ولى أمرهم ، من خلال الالتزام بالقواعد الإلهية ."<sup>2</sup> فحينما يكون تعامل الحاكم مع عائلته طيبا وعادلا ، هذا ما يجعله ينظم أمور مجتمعه ، فإن نجح في ذلك سيكون ناجحا في تنظيم دولته ، وإن أخفق في ذلك سينعكس ذلك على حكومته ، فعندما يكون الحاكم على دراية بالقوانين والقواعد الإلهية التي تساعد على تسيير أمور رعيته .

وهذا يؤكد على أن الحاكم يجب أن يتصف " بالإخلاص والصدق والوفاء بالعهود ، وعدم تغليب رغباته على الصالح العام ، كما ينبغي أن يكون حي الضمير ، ذكيا وبارعا ، وذا عزم لا يكل مهما صادف من مصاعب ، وهو لا يهتم بالراتب قدر اهتمامه بمسؤولياته ، ولا يبدد وقته في توافه الأمور . " وللحاكم طريق عظيم يسعى إليه ، فيجب عليه أن يظهر التضحية بالذات والإخلاص ليصل إليه ، ولكنه سيفشل بالغرور والتطرف ."<sup>3</sup> فيكون الإنسان نبيلًا

<sup>1</sup> \_ إمام عبد الفتاح إمام ، الأخلاق والسياسة ، مرجع سابق ، ص 143.

<sup>2</sup> \_ صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص 192 \_ 193.

<sup>3</sup> \_ هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص 143.



بالتأديب و ببعض المؤهلات كالطيبة والحكمة والشجاعة هي أهم ما يميزه ، فالحاكم يسعى إلى توفير السلام والسعادة لرعيته .<sup>1</sup> فمن الصفات التي يجب أن يتحلى بها الحاكم هي الإخلاص والصدق والوفاء والحكمة والشجاعة ، والاهتمام بشؤون الشعب وأن يكون محب الخير للجميع ، ويعيد عن الأنانية ، ولا يهتم بالمناصب قدر اهتمامه بتحقيق السلام والأمن لشعبه ، هذا ما يجعله حاكما صالحا .

كما " يحتم الواجب على الحاكم أن يحسن استقبال الأجانب ، والإفادة من عملهم وثقافتهم إذا كانوا علماء مثقفون ، وأن يهتم بأمراء الولايات الأخرى ورفاهيتهم وبيادلمهم احتراما باحترام ، وهو بهذا ينشر روح الاحترام والإجلال لشخصه ، كما يجب أن يوحد بين مصلحته والصالح العام ، فإن الإخلاص وروح التضحية سيسودان أفراد دولته ، وبإظهار روح الأبوة لشعبه يجد الأفراد قد وهبو حياتهم لفعل الخير ، وعندما يشجع على الفنون النافعة تزيد الثروة ويعم الرخاء ."<sup>2</sup> وحسن معاملة الحاكم لغير المنظمين للدولة والتعلم من ثقافتهم واحترامهم ، هذا ما يساعد على نشر الاحترام في حكومته ، كما يحث على تحقيق الوحدة بين الرعية ، ومثابرتهم على الإخلاص في العمل . ويرى كونفوشيوس " أن على الحاكم أن يمجّد عظماء الأمور المتمثلة في قوله : عندما يكون الحاكم جوادا من غير إسراف ، وعندما يكمل الأعمال إلى الشعب دون تذمر ، ويجد في طلب ما يرغب فيه دون أن يكون جشع ، ويؤيد قضية جلييلة دون أن يعتريه الكبرياء ، وأن يكون مهيبا دون أن يكون عنيفا شرسا ، ويضيف قائلا : إن على الحاكم ان يبتعد عن قبائح الأمور وهي أن تقتل الناس دون أن تكون قد غلّمتهم فهذا قسوة ، وأن تطلب منهم أقصى نتائج عمل من الأعمال دون أن تنذرهم بذلك فهذا جور ، وأن تصدر أوامر ليس لها صفة العجلة فإذا ما أرف الوقت تصر عليه بقسوة فهذا إساءة ومضرة وا إذا كافأتهم او دفعت أجور عملهم بالشح والتقتير ، فهذا عمل الموظف العادي دون

<sup>1</sup> \_ ميرسيا إلياد ، المعتقدات والأفكار الدينية ، مرجع سابق ، ص 25 .

<sup>2</sup> \_ صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص 196 .

الحاكم .<sup>1</sup>، والقاعدة الأساسية التي تقوم عليها أخلاق لرجل الاعلى هي " العطف الفياض على الناس جميعا ، إنه الحب تلك العاطفة التي اعتبرها كثير من الأخلاقيين قمة القيم ، والرجل الاعلى لا يغضبه أن يسمو غيره من الناس ، فإذا رأى أفاضل الناس فكر في أن يكون مثلهم ، وإذا رأى سفلة الناس عاد إلى نفسه يتقصى حقيقة أمره ، وهو متسامح لا يبالي أن يفترى عليه الناس او يسلقوه بألسنة حداد ولا يحقر من هم أقل منه ."<sup>2</sup> ومن هن فعاطفة الحب التي يمتاز الحاكم بها هي التي تجعله نبيلًا وعطوفًا مع شعبه ، ومن خلالها يضبط سلوكه ، فإذا أعجبه خلق ما حاول أن يتعلمه ، وإذا رأى فعلا سيئا تجنبه .

ويدعو كونفوشيوس إلى طاعة الحكام وتوقيرهم " لأنهم يكونون بمثابة الأب في الأسرة ، إن استطاعوا أن يادوا واجبات القيادة والإرادة التي أوكلت لهم ، ثم يصبحون القدوة الحسنة التي تتقف العامة وتشذب سلوكها ، هذا بالطبع إذا كان الحكام من أهل العلم والإحسان ، ولكنني كل الأحوال فوجود الحكام أقل سوءا وبشاعة من حال الفوضى والظلم العام ."<sup>3</sup> ولعل طاعة الحكام ومعاملتهم مثلما يعامل الابن والده ، وجعلهم قدوة له واتباع سلوكه سيضمن لهم العيش في سلام ، وإن خالفوا أوامره وعصوه سيحل بهم الصراع والفوضى .

<sup>1</sup> \_ أحمد الشنتاوي ، الحكماء الثلاث ، مرجع سابق ، ص 154 .

<sup>2</sup> \_ جمال شمس الدين ، الفضائل والقيم لدى الشعوب القديمة ، مرجع سابق ، ص 133 .

<sup>3</sup> \_ محمد وقيع الله أحمد ، مدخل إلى الفلسفة السياسية ، مرجع سابق ، ص 55 .

**نتيجة :**

إن علاقة الأخلاق والسياسة علاقة تكاملية ، فحين يتعلم الفرد الفضائل والقيم العليا يصبح إنسانا نبيلًا يساهم في تحقيق النظام داخل دولته ، ولا يتم ذلك إلا بوجود حكومة مثالية تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع ، إضافة إلى وجود حكام صالحين لهم كفاءة أخلاقية وتعليمية لقيادة الشعب ، وجعلهم الأخلاق أساسا لكل سلوك يقوم به ويأمر رعيته باتباعه .

من خلال تطرقي لموضوع الأخلاق في الفكر الشرقي القديم كونفوشيوس انموذجا تم  
التوصل للنتائج التالية :

\_ الأخلاق في الحضارات الشرقية كالحضارة الفارسية والحضارة الهندية هي أخلاق عملية  
مرتبطة بسلوكياتهم اليومية مع الآخرين ، وكان الدين هو مصدر المبادئ الأخلاقية .

\_ ارتبطت الحضارة الفارسية بالثنائية ( الخير والشر ) ، ( الحياة والموت ) ، ( العقاب  
والثواب ) ، ( النور والظلام ) ، ولعل هذه الحضارة قد دعت بالتمسك بالفضائل والقيم  
كالاستقامة والخير والحق ، والحكمة . والحضارة الهندية تميزت بفسفتها الروحية ، حيث  
ارتبط فكرها بالأسطورة والدين والأخلاق ولا يمكن الفصل بينهم، إذ تدعو إلى الانضباط  
الذاتي والسيطرة على النفس والتخلص من قيود الذات للتخلص من المعاناة والابتعاد عن  
الرغبات والشهوات.

\_ اهتمت الحضارة الصينية بالواقع وابتعدت عن الدين ، حيث عرفت الصين انحطاطا في  
المنظومة الأخلاقية إلى أن جاء كونفوشيوس وأعاد إصلاح الفوضى الخلقية التي انتشرت  
آنذاك .

\_ إن أهمية التربية والتعليم عند كونفوشيوس تكمن في تنمية فكر الفرد وقدراته من خلال  
البحث عن القيم الأخلاقية وتطبيقها في حياته ، فتظهر في سلوكه الصحيح في أسرته ومع  
غيره من أفراد المجتمع ، كما تمكنه من التخلص من العادات القبيحة ، والإنسان لا يمكن  
أن يعرف القيم والأخلاق دون تربية .

\_ تأسس الفكر الكونفوشيوسي على مجموعة من الفضائل المختلفة بدءا من الذات ثم من  
الأسرة ثم يليها المجتمع ، وأساس الفضائل يكمن في فضيلة الإنسانية (الجين) من خلالها  
يكون سلوك الإنسان خيرا ومستقيما وطيبا ، فمن ينتهج طريقها سيكون قلبه خاليا من الشر،

ويكون سلوك الفرد نابعا من باطنه . ثم فضيلة طاعة الأبناء للآباء ، من خلالها يتعلم الإنسان داخل أسرته مجموعة من القيم والآداب يحتاجها في حياته وإزاءها يتصرف مع غيره ، فالإنسان يحترم والديه ويوقرهما ، كما تحقق الانسجام بين أفراد الأسرة وتوحدتهم ، وتنتقل هذه القيم التي تعلمها الفرد من أسرته إلى خارجها .

\_ تحكم فضيلة الاستقامة على السلوك الإنساني بالحق أو ابتعاده عنه ، وتدل الفرد على الطريق الصحيح ، فهي طريق هداية الفرد إلى كل ما هو صائب .

\_ وفي الأخير فضيلة قواعد اللياقة وآداب المجتمع وهي الاستعداد الداخلي للفرد وظهوره كسلوك خارجي ، فهي جملة المواقف التي يتبعها الفرد مع الآخرين ، ويتعلم الفرد السلوك القويم داخل أسرته يظهر في مجتمعه .

\_ ارتبطت الأخلاق بالسلطة السياسية في فكر كونفوشيوس ، حيث من الصعب التفرقة بين ما هو أخلاقي وما هو سياسي ، إذ نجد أن الأخلاق عند كونفوشيوس يمكن أن تكون سندا قانونيا تستقي منه الحكومة القوانين .فصلاح الحكومة واستمرار الحكم لا يتم إلا بوجود رجل نبيل يتولى السلطة والحكم فيها ، ويجب أن يكون يتحلى بأعلى القيم والفضائل الخلقية وأن يكون قدوة لشعبه وبهذا سيحافظ على حكومته ، فاعتماد نظام الحكم على الأخلاق التي يفرضها الحاكم هو الذي يمكن الدولة بالتقدم .

• القرآن الكريم

أ \_ قائمة المصادر:

1. كونفوشيوس، الكتب الأربعة المقدسة، ت : محسن سيد فرجاني، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009 .

ب \_ قائمة المراجع :

1. أحمد الشنتاوي، الحكماء الثلاث، (د ط)، دار المعارف، مصر، 1953 .
2. أحمد أمين، كتاب الأخلاق، ط3، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1931 .
3. أرثر كريستنس، إيران في عهد الساسانيين، ت : يحيى الخشاب، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت).
4. أسعد السحمراني، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ط1 ، دار النفائس، بيروت، 1988.
5. ألبيير تويتز، فكر الهند، ت: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس، دمشق، 1994.
6. السيد أبي النصر أحمد الحسيني، الفلسفة الهندية، ط1، مطبعة مصر، القاهرة، (د ت) .
7. الشفيق الماحي أحمد ، زرادشت والزرادشتية ، (د ط) ، قسم الدراسات الإسلامية ، جامعة الملك سعود ، 2001 .
8. أليان ج ويدجري، التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى تويبني، ج1، ت : عبد العزيز توفيق جاويد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ت) .
9. إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم، (د ط)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001 .

10. آن شانغ، تاريخ الفكر الصيني، ت: محمد حمود، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012 .
11. توبتين تشوردن، البوذية للمبتدئين، ت: المبادرة العربية للترجمة، الدارما، (د ط)، (د ت) .
12. جمال المرزوقي، الفكر الشرقي القديم وبيداتيات التأمل الفلسفي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001 .
13. جمال شمس الدين، الفضائل والقيم لدى الشعوب القديمة ذوات الأديان الإنسانية، (د ط)، المؤسسة الثقافية الجامعية، الإسكندرية، (د ت) .
14. جمشيد يوسف، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة، ط1 ، منشورات زين، بيروت، 2012 .
15. جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ت: إمام عبد الفتاح إمام ، (د ط)، عالم المعرفة، الكويت، 1993 .
16. خه جاو وآخرون، تاريخ تطور الفكر الصيني، ت: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، ط1 ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 2004 .
17. جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ت: كامل يوسف حسين، (د ط)، عالم المعرفة ، الكويت، 1995 .
18. زروق زينيه وآخرون، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، ط1، دار الأمان، الرباط، 2013 .
19. صلاح بسيوني رسلان، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، (د ط)، (د ت).
20. عادل العوا، القيمة الأخلاقية، (د ط)، مطبعة جامعة دمشق، 1960 .
21. عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الديانات القديمة، (د ط)، دار صفحات، سوريا، 2012 .

22. عبد الله مبلغى العبدانى، تأريخ الديانة الزرادشتية، ت: عبد الستار قاسم كلهور، ط1، مؤسسة موكريانى، 2011.
23. عمر عبد الحى، الفلسفة والفكر السياسى فى الصين القديمة، ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1999.
24. ف دياكوف، س كوفاليك، الحضارات القديمة، ج1، ت: نسيم واكيم اليازجى، ط1، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2000.
25. فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ت: فليكس فارس، (د ط)، المركز القومى للترجمة، القاهرة، 2010.
26. فضل الله محمد إسماعيل، فلسفة السياسة، (د ط)، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008.
27. لييب عبد الستار، الحضارات، ط17، دار دمشق، بيروت، 2008.
28. محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، (د ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
29. محمد سليمان حسن، تيارات الفلسفة الشرقية، (د ط)، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999.
30. محمد ضاهر، الزرادشتية واليزيدية تظاهر أم تقابل؟ ، ط1، دار الأوائىل ، دمشق، 2010.
31. محمد عبد الرحمان مرجبا، مع الفلسفة اليونانية، ط3، منشورات عويدات، بيروت، 1988.
32. محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، (د ط)، مطبعة البيت الأخضر، القاهرة، 1938.
33. محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقى فى الفلسفة الغربية، (د ط)، دار قباء، القاهرة ، 1998.
34. محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، ط1، دار الفكر، دمشق، 2010.



35. محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، ط3، دار القلم، الكويت، 1983.
36. مصطفى النشار، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، ط1، دار قباء، القاهرة، 1997.
37. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج1، (د ط)، دار قباء، القاهرة، 1998.
38. مصطفى عبده، فلسفة الأخلاق، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.
39. ميرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ت: عبد الهادي عباس، ج1، ط1، دار دمشق، الشام، 1986.
40. ميرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ت: عبد الهادي عباس، ج2، ط1، دار دمشق، الشام، 1986.
41. هالة أبو الفتوح أحمد، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، (د ط)، دار أنباء، القاهرة، 2000.
42. ه ج كريل، الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسيتونج، ت: عبد الحميد سليم، (د ط)، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1971.
43. ه فان براج، حكمة الصين، ت: موفق المنشوق، ط1، دار الأهالي، دمشق، 1998.
44. هيلدا هوخام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ت: أشرف محمد كيلاني، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.
45. ول وايرلديورانت، قصة الحضارة الشرق الأدنى، ت: محمد بدران، ج2، م1، (د ط)، دار الجيل، بيروت، (د ت).
46. ول وايرلديورانت، قصة الحضارة الصين الشرق الأقصى، ت: محمد بدران، ج4، م1، (د ط)، دار الجيل، بيروت، (د ت).
47. ول وايرلديورانت، قصة الحضارة الهند وجيرانها، ت: زكي نجيب محمود، ج3، م1، (د ط)، دار الجيل، بيروت، (د ت).



6. جون ر هينيليس، معجم الأديان ، ت: هاشم أحمد محمد، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.

7. علويينعبدالقادرالسقاف، موسوعة الأخلاق، ج1، (دط)،الدارالسنية، (دت).

8. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، (د ط)،دار الفضيلة، القاهرة، (د ت).

9. فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، ط4، دار التكوين، دمشق، 2017.

10. مراد وهبة، المعجم الفلسفي،(د ط)، دار قباء، القاهرة، 2007.

#### د\_ المحاضرات:

1. صباح قلامين، محاضرات في فلسفة الأخلاق، جامعة خميس مليانة، ماي، 2015.

فهرس الموضوعات :

الصفحة	المحتوى
	شكر وتقدير
	إهداء
	مقدمة
	<b>الفصل الأول: مفهوم الأخلاق في الفكر الشرقي القديم</b>
5	تمهيد
6	المبحث الأول: مفهوم الأخلاق
6	1_ لغة
6	2_ اصطلاحا
9	المبحث الثاني: الأخلاق في الفكر الفارسي
9	1_ الأخلاق الزرادشتية
15	2_ الأخلاق المانوية
20	المبحث الثالث: الأخلاق في الفكر الهندي
20	1_ الأخلاق البراهمية
23	2_ الأخلاق البوذية
26	نتيجة
	<b>الفصل الثاني : الأخلاق في فكر كونفوشيوس</b>
28	تمهيد
29	المبحث الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية للمجتمع الصيني
34	المبحث الثاني : التربية والتعليم وعلاقتها بالأخلاق في فكر كونفوشيوس
42	المبحث الثالث : الفضائل الأخلاقية في فكر كونفوشيوس
43	1_ فضيلة الإنسانية ( الجين )
46	2_ فضيلة طاعة الأبناء للآباء ( هسياو )

49	3_ فضيلة الاستقامة ( بي )
50	4_ فضيلة قواعد اللياقة وآداب المجتمع ( لي )
53	نتيجة
	الفصل الثالث : علاقة الأخلاق بالسياسة في فكر كونفوشيوس
55	تمهيد
56	المبحث الأول : الحكومة الصالحة
67	المبحث الثاني : أخلاق الحاكم وفضائله
76	نتيجة
	خاتمة
81	قائمة المصادر والمراجع
88	فهرس الموضوعات